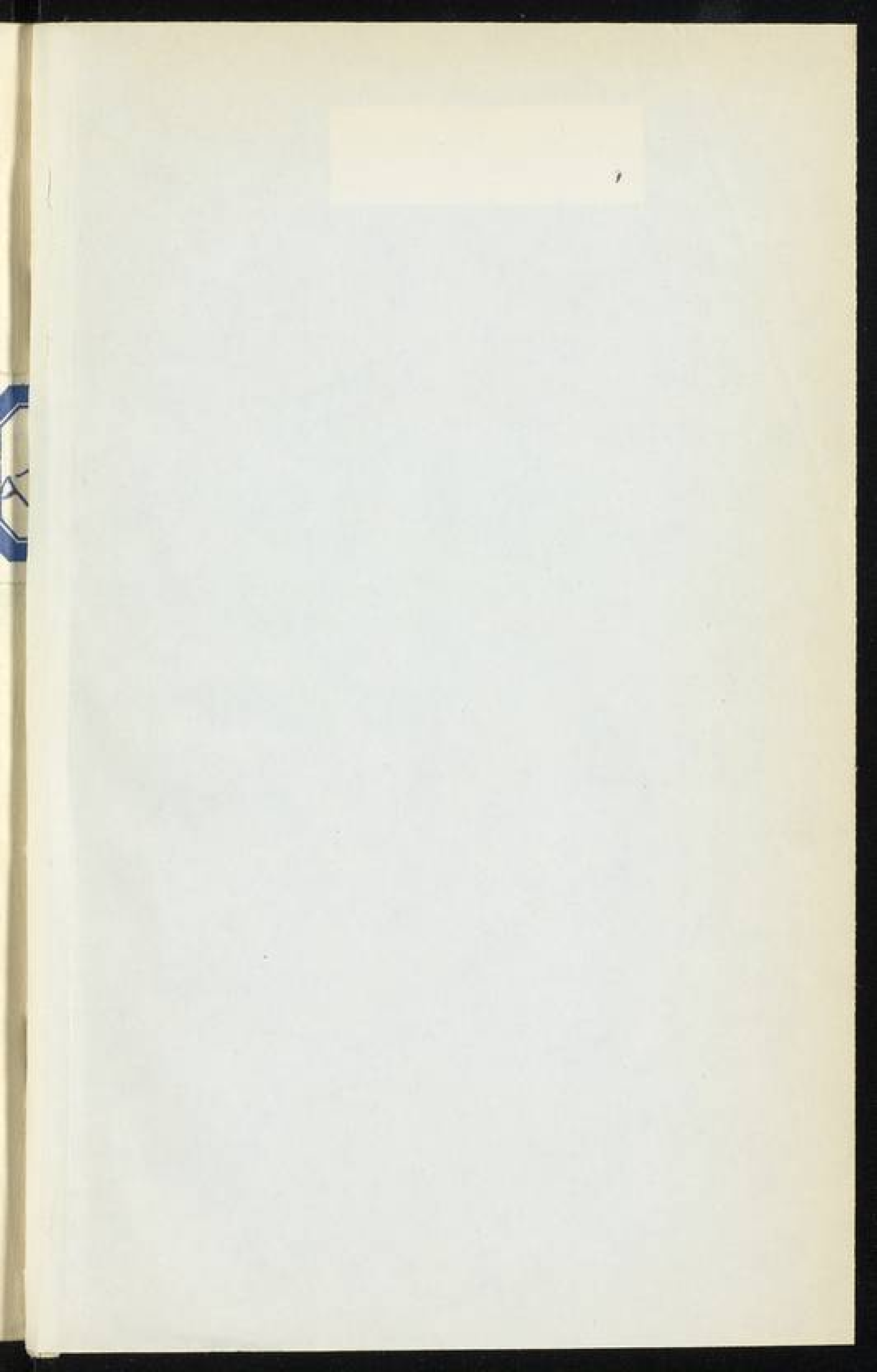
BUTRUS

AL-MU'ALLIM
BUTRUS KARAMAH





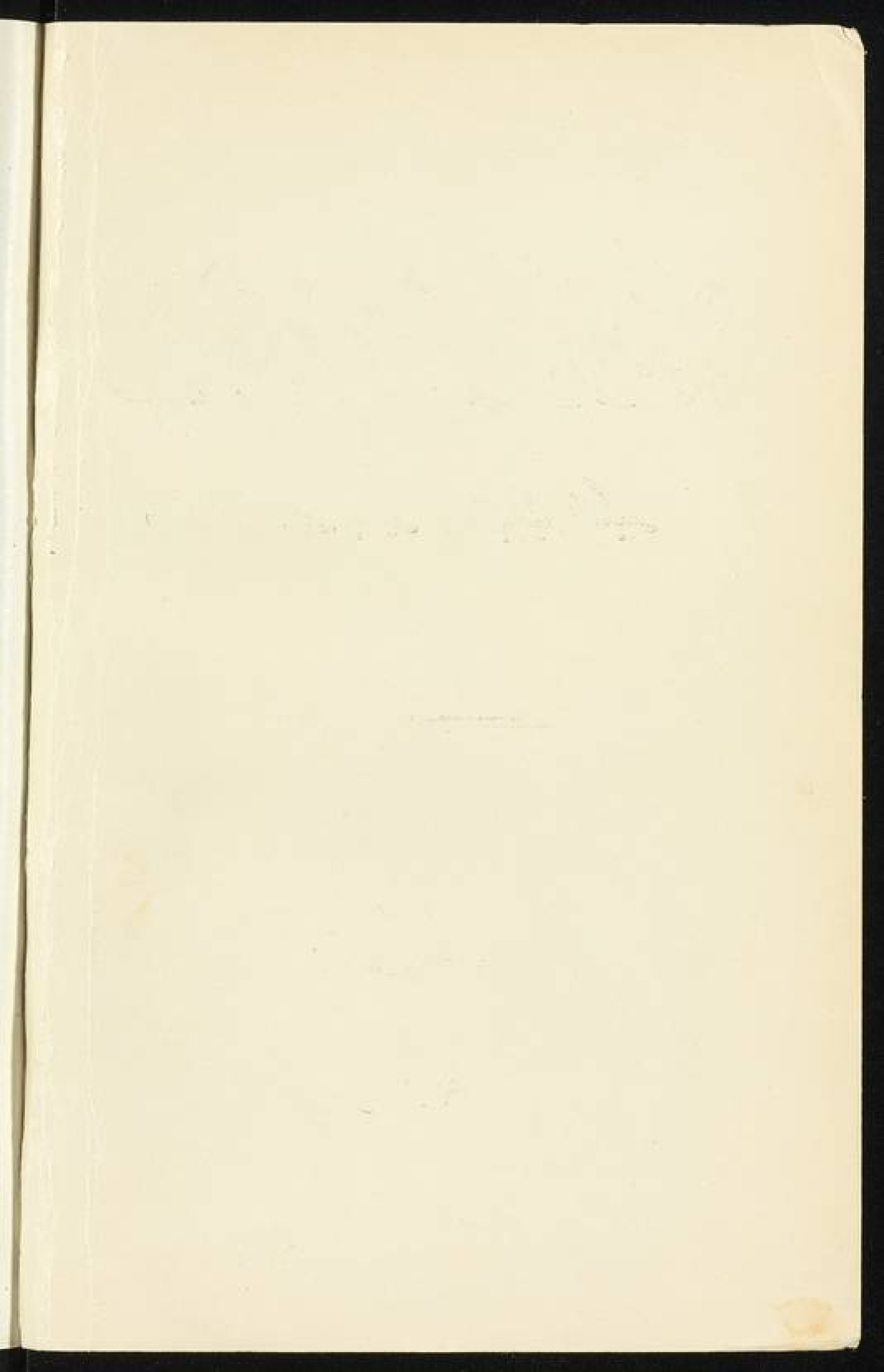
المعلم بطرس كرامة

شاعر الامير بشير الشهابي الكبير

بقلم

ميخائيل بطرس

حمص ١٩٦٢



المعلم بطرس كرامة

شاعر الامير بشير الشهابي الكبير

بقلم

ميخائيل بطرس

حمص ١٩٦٢

كلمة المؤلف

أليس جحوداً أن ننسى الاساس يوم يقوم البناء شامخاً ؟ أليس عقوقاً ان تنكر الافنان الباسقة الجذوع السخية العطاء ؟ اننا اذ نكرم ذكرى شعرائنا وادبائنا الراحلين فانما نكرم تلك الجذوع الراسخة التي تفرعت عنها الاغصان الباسقة لذلك رأينا الواجب يقضي علينا بعد ان تكلمنا في كتابنا السابق عن مواطننا العلامة الشيخ ابراهيم الحوراني ان نتكلم في هذا الكتاب عن الشاعر الحمصي المشهور المعلم بطرس كرامه شاعر الامير بشير الشهابي الكبير ومعلم اولاده ومديره الذي لم يكن يبت في امر قبل استشارته .

وسنتكلم في كتابنا القادم ان شاء الله تعالى عن ثالث القمرين المغفور له الشيخ امين الجندي بلبل حمص الصداح وصاحب القصائد الرقيقة والموشحات المطربة الذي قال فيه مواطنه بطرس كرامه بقوله : —

لله خير مهذب باهت به — حمص ونور الحق عنه يبينُ

لا غرو ان فاق الجميع فانه — شهم على درر البديع امينُ

آملين ان نقوم بقسط من واجبنا نحو بلابلنا الصداحة في رياض الشعر .

نبذة عن نوابغ الحمصيين

لقد انجبت حمص قديماً وحديثاً عدداً كبيراً من رجال العلم والادب والفلسفة والسياسة والتاريخ والطب فمن الذين اشتهروا قديماً هم :

الطبيب مغنس الحمصي تلميذ ابو قراط عاش في القرن الرابع ق.م والطبيب غالس الحمصي كان في الفترة بين ابـــو قراط وجالينوس ارشيجنيس الطبيب كان من الاخصائيين في الامراض العقلية .

بابنيان الفقيه عاش من ١٥٠ ـ ٢١٢ ب.م

جوليا دومنا ابنة كاهن حمص الجليل باسيان (١٦٦-٢١٧ م) وكانت ذات جمال بارع وذكاء متوقد تزوجـــها القيصر الروماني سيبتيموس سيفيروس وبفضل ذلك حكم عدة قياصرة من دم حمصي المملكة الرومانية التي كانت تعد اكثر من مئة مليون نسمة وهم القياصرة الحمصيون سيفيروس الاول وكاراكلا وايليوكابال واسكندر سيفيروس من (١٤٦ ـ ٣٥ م) .

زينب ملكة تدمر ولدت في العقد الخامس من القرن الثالث من امير عربي وقيل انها حمصية من ذرية كليوباترا .

لونجينوس الفيلسوف (٢١٣ ـ ٢٧٣ م) الشهير والخطيب الكبير صاحب كتاب الايقال ومستشار زينب ملكة تدمر .

اوليبان اللغوي الخطيب كان في القرن الرابع للمسيح من تآليفه شرح

خطب ديموستين .

تيرانيوس اللغوي الحمصي معلم سطرابون الجغرافي الشهير .

القديس ايليان الحمصي الطبيب استشهد في ٦ شباط سنة ٢٨٤ م وهو من اشهر نوابغ النصرانية القدماء .

رومانـوس المرنم المذب مرتل كنيسة القسطنطينية ولد في اواسط القرن الخامس .

اونوريوس السفسطائي مدرس البيان والفقه في حمص .

سالوست الحكيم اشتهر بالخطابـة والبيان والفقه والفلسفة ولد في القرن الخامس .

وممن اشتهر من العرب بالشعر والادب واللغة عبد السلام بن رغبان الملقب بديك الجن وابن معمعه وابو الفرج بن الدهان وسالم بن سعاده والشيخ امين الجندي وزكريا الملوحي وعبدالرزاق الجندي وعبدالستار الاتاسي وغيرهم وممن اشتهر بالطب وألّف به كمال الدين الطبيب .

واشتهر من المسيحيين الشيخ سعد البازجي جد الاسرة اليازجيـة الشهيرة الذي هجر حمصاً الى لبنان سنة ١٦٩٠ م ومنهم ميخائيـل البحري الشاعر وأولاده عبود بك الشهير بحسن الخط الذي كانت تضرب به الامثال فيقال خط عبودي وجرمانوس المشهور بضبط حسابات الحكومـة وحنا بك الشهير بحسن ادارته ودرايته بتدبير الممالك وقـد تقلب ميخائيل واولاده في خدمة حكام سوريا ثم انتقل بنوه الى خدمة الحكومة المصرية فتسنموا ارفـع الدرجات ومنهم ميخائيل لطفي مؤلف تاريخ الجزار والمطران ارميا كرامه وله

عدة تآليف ومنهم الخوري سابا الكاتب صاحب المؤلفات المفيـــدة والرسائل الفلسفية الشهيرة ومنهم الشاعر المشهور بطرس كرامه والشيخ ابراهيم الحوراني الذائع الصيت وأنيس سلوم عضو المجمع العلمي العــربي بدمشق والشهيدان عبدالحميـــد الزهراوي ورفيق رزق سلوم والعلامتان الخـــوري عيسى اسعد والاستاد حنا خباز والشاعران نسيب عريضه وندره حداد والاستاذ اللغوي العلامة يوسف شاهين والمؤرخ الاستاذ رزق الله عبود والشاعر الاستاذ شاكر سلوم والشاعر الموسيقي الاستاذ داود خوري وغيرهم .

نبذة من تاريخ الامير بشير الشهابي الكبير

لقد اتصل شاعرنا بطرس كرامه بالامـــير بشير الشهابي الكبير سنة ١٨١٢ فقربه هذا منه لما رآه فيه من العلم وجودة العقل وفصاحة اللسان واتقانه للغة التركية وحسن الخط وكان الامير يحبه ويثق به كل الثقة حتى انه لم يقطع بأمر بدون استشارته وقد ابدى الشاعر براعة ودراية في الامور التي نيطت به وأخلص للامير اخلاصاً منقطع النظير حتى وفاته لذلك رأينا اثبـات نبذة من تاريخ الامير ونحن نكتب سيرة شاعرنا بطرس كرامه فنقول :

حكم الامير لبنان نحو ٥٢ سنة بحكمة وحزم حتى خصه التاريخ بلقب الكبير اسوة ببعض الملوك لانه كان كبيراً بعدله وعقله وأخلاقه وشجاعتــــه ودعي المالطي نسبة الى جزيرة مالطه التي اختارها الامير اولا محلا لاقامته بعد اعتزاله الحكم ١٨٤٠ م ويسمى الامير بشير الثاني اذ قد سبقه نسيبه بشير الاول (١٦٩٧ - ١٧٠٦) الى حكم لبنان وهو اول من حكمه حتى الاسرة الشهابية بعد انقراض المعنيين ومن ألقابه ايضاً ابو سعدى نسبة الى اسم كبرى بنتيــه ووالده هو قاسم بن الامير حيدر شهاب .

والامراء الشهابيون سلالة اسرة اسلامية تتصل ببني قريش واسم جدهم مالك الملقب بشهاب وهم قدموا من الحجاز الى حوران في القرن السابع للمسيح ايام الفتح العربي ثم انتقلوا الى وادي التيم وقطنوا حاصبيا وراشيا وتقربوا من الامراء المعنيين .

وقد تزوج الامير بشير الشهابي بأرملة غنية من العائلة الشهابية اسمها شمس فاشترى من مالها بيت الدين ومزرعة الجبه ورزقا ثلاثة ذكور هم الامراء قاسم وأمين وخليل .

وبعد ان توفيت زوجته المذكورة سنة ١٨٢٩ ودفنت في سراي بيت الدين تزوج ثانية بالمدعوة حسن جيهان وهي شركسية استقدمها من القسطنطينية .

استلم الامير الحكم من ١٧٨٨ - ١٨٤٠ بعد تنازل الامير يوسف شهاب عنه ورضا الاعيان به وفي ٢٢ آب من سنة ١٧٨٨ نزل الى عكا فقلده الجزار الولاية على البلاد وأرسله الى دير القمر مصحوباً بقوة كافية وكان عمر الامير عندئذ لا يتجاوز الحادية والعشرين .

حكم الامير ٥٢ سنة جرت في خلالها حوادث مهمة جمة ويقسم عهد حكمه الى ثلاثة ادوار :

١ - دور المتاعب والفتن ومدته ١٩ سنة من ١٧٨٨ - ١٨٠٧
٢ - دور السكينة والعز والسؤدد مدته ٢٥ سنة من ١٨٠٧ الى سنة ١٨٣٢
٣ - دور الحروب والتضحيات في سبيل الاستقلال التام ومدته ثماني سنوات من ١٨٣٢ - ١٨٤٠ وهو عهد الحكومة المصرية في لبنان .

ومن بطانة الامير الشعراء الثلاثة بطرس كرامه والشيخ امين الجندي الحمصيان ونقولا الترك .

ولما تغيرت الدولة العثمانية على الامير بشير بداعي مما لأنه خديوي مصر امرت باخراجه مع اسرته من لبنان فسافر منها الى مالطه ثم الى القسطنطينية

سنة ١٨٤٠ واتخذ له داراً في بيره وتوفي هناك في ٣٠ كانون الاول سنة ١٨٥٠ وعمره ٨٤ سنة ودفن في كنيسة المخلص للارمن الكاثوليك في محلة غلطه وكانت ولادته في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٦٦".

نقل رفاته الى لبنان : في يوم الخميس الواقع ٢ تشرين الاول سنة ١٩٤٧ نقل رفات الامير بشير من القسطنطينية الى لبنان باحتفال كبير في عهد رئيس الجمهورية السيد بشاره الخوري ووضع نعشه في الضريح الفخم الى جانب زوجته وقد ودعته المدفعية باطلاق ٢١ طلقة .

هيبة الامير بشير : ومما ذكر عن هيبة الامير انه دخل على الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) رؤوف باشا الذي امر ارباب مجلسه الا يقفوا له ولكن الصدر الاعظم نفسه تهيب عند دخوله ووقف له اجلالا فوقف سائر الجلاس وقال « والله لا اعلم ما الذي اوقفني رغم ارادتي حالما شاهدت وجه هذا الرجل ولم أكن اظن ان على وجه الارض رجلا بهذه الهيبة » .

مزايا شعر المعلم بطرس كرامه ومكانته

مكانته الادارية : ولد هذا الشاعر المشهور في حمص سنة ١٧٧٤ وتوفي سنة ١٨٥١ فتكون المدة الفاصلة بيننا وبينه ١١٠ سنوات ، ومن المؤسف ان دوائرنا الثقافية والادبية لم تهتم باحياء ذكر هذا الشاعر العلم الذي يعد من رجال النهضة الادبية في بلادنا فلم تقم له حفلة تذكارية او تطبع منظوماته المخطوطة لا في وطنه حمص ولا في لبنان الذي قضى انضر سني حياته في خدمته بقلمه واستنفد مواهبه الادارية في سبيل عمرانه ورفاهيته وكان المدبر لحاكمه الامير بشير الشهابي الكبير وشاعره ومعلم اولاده .

قال الاب شيخو في كتابه الآداب العربية في القرن التاسع عشر : « حظي بطرس عند الامير لما رآه فيه من العلم وجودة العقل وفصاحة اللسان مع معرفته اللغة التركية فعهد اليه بتهذيب اولاده واتخذه كاتباً للامور الخارجية لجودة انشائه ثم جعله معتمداً له لدى والي عكا ثم سلمه تنظيم خزينة الحكومة ورفع منزلته وجعله مديره فصارت امور لبنان كلها في يده يديرها احسن تدبير فوقعت هيبته في القلوب وعظمت حرمته وانتشرت شهرته وعلت كلمته » .

مكانته الادبية : وقال الاب شيخو في كتابه المنوه به عن شاعرنا انه لعب في ترقي الآداب العربية دوراً مهماً قبل اواسط القرن التاسع عشر وقال ايضاً وشعر بطرس اضبط وأطبع من شعر معاصريه ، تراه يتصرف بالمعاني ويخرجها على ابدع طريقة .

وقد عرف عن شاعرنا انه ضليع في اللغتين العربية والتركية وانه مال الى الشعر منذ حداثته وله ثلاثة دواوين شعرية كما ذكرنا في ترجمة حياته وحاز مكانة مرموقة عند ادباء عصره حتى ان الشيخ ناصيف اليازجي وهو من اكبر رواد النهضة الادبية في بلادنا قد صدّر اول ديوان طبعه في بيروت بقصيدة يمدح فيها شاعرنا الحمصي منها :

رجل وماذا وصفه وكفى به
رجل له المفهوم والمنطوقُ
حسن المعاني والبيان كلامه
جزل ومعناه الرقيق دقيقُ

كما ان كبار شعراء عصره كانوا يجلونه ويقدرونه كما نرى، في المراسلات التي دارت بينه وبينهم وأهمهم فارس الشدياق وعبدالحميد البغدادي ونقولا الترك وعبدالجليل البصري وغيرهم .

السهولة والوضوح : ومن دقق شعر المترجم يرى فيه سهولة أخاذة ووضوحاً جداً فهو يجتنب الكلمات الحوشية الصعبة مع ميله الى البديع كالجناس كما يبدو من خاليته الشهيرة التي نشرناها في اول باب الغزل .

شاعريته الخصبة : ومما يلفت النظر في شعره جودة قريحة فهو شاعر مطبوع فياض القريحة متوقد الذهن خصب الخيال حاضر البديهة وكثيراً ما ارتجل الشعر في عدة مناسبات فهو كالبلبل الصداح في روضة غناء

يستعذب جمال المشاهد ويطيل التغريد فاتناً الفؤاد برقة اغانيه العذبة .

الغزل والمديح : تكثر في ديوانه قصائد الغزل والمديح كما يكثر التشطير والتخميس اما الاكثار من الغزل فيــدل على شدة احساسه بالجمال وتقديره اياه ووقوعه في حبائله كما نلحظ من غزله الرقيق والاخبـار المتداولة عنه ، واما المديح فقد كان يعمد اليه بصفته شاعراً للامير بشير الشهابي ونديماً له ولا يعاب على ذلك لان هذا الامر كان متعارفاً عليه في ذلك الحين اضف الى هذا ان بيئته كانت تقضي عليه بذلك .

وليس معنى ذلك ان شاعرنا لم ينظم في اغراض اخرى من الشعر كلا فانه نظم في الحكم والمراثي والوصف وأجاد في بعضها بيد اننا اردنا القول ان الغزل والمديح هما البابان اللذان طرقهما اكثر من سواهما فهو يشبه من هذه الناحية البحتري شاعر الديباجة الصافية ولا ريب بان بطرس قد تأثر بشعر البحتري كثيراً كما يظهر لمطالع شعره .

ونستطيع القول ايضاً ان طريقة شاعرنا بطرس كرامه في المــدح كطريقة البحتري فانه يستهل قصائد المديح بالغزل وثمت وجه شبه آخر بينه وبين البحتري الذي لولا الوصف في شعره لذهب اكثره ولكنه حين استخدم فن الوصف ابقى على سمعة شعره قال الصولي : سمعت عبدالله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحتري الا قصيدته السينية في وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها ومطلعها :

صنت نفسي عما يدنس نفسي

وترفعت عن جدا كل جبس

وكذلك القول في شاعرنا الحمصي فانه استخدم الوصف في شعره وأجاد فيه فهذا موشحه المشهور الذي نظمه عندما جر الامير بشير الشهابي الماء الى منزله (سنة ١٢٣٠ هـ) غني بالوصف الانيق وقد نشرناه مع غيره من القصائد التي استخدم شاعرنا فيها الوصف ، واليك وجه شبه آخر بين الشاعرين فان البحتري كان نديم الخليفة المتوكل كما كان بطرس شاعر الامير بشير ونديمه .

أثر تدينه في شعره : اجمع الذين كتبوا عن شاعرنا انه كان ذا اخلاق رضية ومزايا عالية وراسخ الايمان بالله تعالى كما يتضح لك من قصيدته المسماة « درة القريض وشفاء المريض » التي نشرناها قبلا وفيها يستغفر ربه عما فرط منه ويرد على اهل المادة رداً قوياً .

لطفه واجتنابه الهجاء : كان شاعرنا متصفاً باللطف وحب السلام ودماثة الخلق فان صالح التميمي عندما رد على خاليته متحاملا اجابه بطرس بقصيدة هادئة استهلها بقوله :

لكل امرىء شأن تبارك من برى

وخص بما قد شاء كلاً من الورى

وقد علّقنا على خاليته الشهيرة بما فيه الكفاية .

أين منظوماته في حمص ؟ يبدو من سيرة شاعرنا انه ترك حمصاً وهو شاب فأين قصائده التي نظمها في حمص ؟ لقد بحثنا في ديوانه وفي حمص عنها فلم نعثر لها على اثر وهذا يدل على عدم اعتنائه بجمع منظوماته كلها اذ المفروض ان مشاهد العاصي والبحيرة الساحرة قد اوحت اليه الشعر ولكنا لسوء الحظ لم نجد منه شيئاً .

المعلم بطرس كرامه

~~١٤٧٧~~ ١٧٧٤ - ١٨٥١

الاسرة : يقول التاريخ ان سكان حمص يمنيون قال الرحالة المغربي ابن بطوطه عن حمص ان سكانها كلهم من العرب لذلك اشتهر القول المأثور « هو أذل من قيسي في حمص » ولقد نزلت في تلك الضواحي قبائل كثيرة من اليمن من مسلمين ومتنصرين من ألف سنة من الغساسنة ونحوهم قادمين من حوران ومنهم من هو يوناني الاصل مثل بني البحري .

اما بنو كرامه فهم اسرة حمصية قديمة اشتهر منها ارميا اسقف دمشق الكاثوليكي الذي سيم عليها سنة ١٧٦٣ وكان جيد الخط وله عده مؤلفات منها مجموع خطبه وكان اسمه قبل سيامته ارسانيوس توفي سنة ١٧٩٥ ، وشقيقه والد صاحب الترجمة المدعو ابراهيم .

مولده ونشأته : ولد بطرس ابراهيم كرامه في حمص سنة ١٧٧٤ ونشأ فيها وتخرج على يد خاله ميخائيل البحري الذي كان شاعراً اديباً وكاتباً بارعاً من نوابغ حمص في العلم والذكاء والذي تخرج على يده اولاده الثلاثة عبود وجرمانوس ويوحنا فكانوا كلهم على شاكلته .

ولقد اتقن بطرس اللغتين العربية والتركية ونبغ في الشعر .

في عكار : سنة ١٨٠٧ هجر بطرس ووالده حمص وتوجها

الى عكار فاتصل بطرس بحاكمها علي باشا الاسعد ومدحه بعدة قصائد فرغب فيه لبراعته ودرايته وحسن ادبه وخطه واستخدمه في ديوانه وأعلى منزلته وعين له ما يقوم بأوده فأقام في خدمته خمس سنوات .

عند الامير بشير الشهابي الكبير : وفي سنة ١٨١٢ اتصل بطرس بالامير بشير الشهابي الكبير حاكم لبنان بواسطة نقولا الترك شاعر الامير عندئذ فحظي بطرس عند الامير بمنزلة سامية لما رآه فيه من العلم وجودة العقل وفصاحة اللسان واجادة اللغة التركية فعينه معلماً لولديه خليل وأمين وعرف من ذلك الحين بالمعلم بطرس كرامه كما عينه كاتباً للامور الاجنبية لاتقانه التركية وجودة انشائه وجعله معتمده عندوالي عكا وكان شاعرنا عاقلا وعالماً نحوياً ، ومنشئاً وخطاطاً وشاعراً فصيحاً فقام بالمهام المسندة اليه خير قيام فازداد منزلته في عين الامير ووجوه بلاده وعلمائها وحصل مالا كثيراً وجاهاً وافراً وكان الامير يحبه ويثق به في جميع اعماله ثم سلمه تنظيم خزينة الحكومة فوضع لها قوانين اعجب بها الامير فأمر بتنفيذها ثم رفع منزلته واتخذه مدبراً له وكان لايبرم امراً الا بعد استشارته فانتهت امور لبنان كلها اليه يديرها احسن ادارة فوقعت هيبته في القلوب وارتفعت مكانته وعلت كلمته وانتشرت شهرته وبنى داراً كبيرة في دير القمر واقتنى املاكاً واسعة .

في مصر : وفي سنة ١٨٢٠ على اثر اضطراب احوال البلاد اضطر الامير بشير للسفر الى مصر فصحبه بطرس وقال في ذلك :

رحلنا وخلينا المنازل بعدنا
تشير بكف ابيض وبنان

أبينا احتمال الذل او نهلك الورى

فقمنا وخلينا بدون طعان

وقد نجح شاعرنا لما سافر مع الامير الى مصر بواسطة انسبائه آل البحري الحمصيين ولا سيما اولاد خاله المرحوم ميخائيل البحري وأخصهم حنا الذي كان مقرباً من جد الاسرة الخديوية محمد علي باشا فعاد مع الامير بشير الى لبنان ظافراً وقد نظم في مصر قصائد بليغة سماها (القطع الدرية في منظومات الديار المصرية) وهذه المجموعة لا تزال مخطوطة في مكتبة حفيده بطرس الذي كان قائمقام زحله .

العودة الى لبنان : ولما عاد بطرس مع الامير بشير الى لبنان صفا لها الجو الى ان قدم ابراهيم باشا بن محمد علي باشا لفتح سوريا سنة ١٨٣١ فنال المترجم عنده منزلة بواسطة ابن خاله حنا بك البحري الذي كان امير لواء ومدبراً لابراهيم باشا فأسند اليه بعض الاعمال في لبنان ودمشق فقام بها خير قيام ، ولما فتح عكا هنأه بقصيدة عامرة لم تنشر في ديوانه المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٨ المسمى سجع الحمامة وهي مثبتة في تاريخ ابراهيم باشا المصري لاسكندر ايكاريوس جاء فيها :

فتح به الفتح القريب مؤكد

وكواكب النصر المبين توقدُ

ما المجد الا بالحسام ولم يدم

شرف الفتى ان لم يصنه مهندُ

يا يوم عكا لم تدع ذكراً لما
عبر الزمان به وما يتجددُ

وختمها بهذا التاريخ (١٢٤٨ هـ) :

وبفتح عكا سيف ابراهيم قد
قال المؤرخ ظافر ومؤيدُ

في القسطنطينية : ولما تغيرت الدولة العثمانية على الامير بشير بداعي ممالأته خديوي مصر اصدرت امراً باخراجه مع اسرته من سوريا سنة ١٨٤٠ فأرسل الامير مدبره بطرس كرامه الى القسطنطينية ليخبره عما يكون من امره اذا نزل فيها فسافر بطرس اليها وذهب الامير بمن معه الى مالطه ، فأعد بطرس داراً للامير وعرف حال الدولة ورغبه بالاقامة في القسطنطينية وكتب اليه ملغزاً (ان الصندوق في الآستانة ومفتاحه في لندن) فذهب الامير بأسرته ورجاله الى الآستانة واتخذ داراً له في بيره وأقام معه مدبره بطرس بأسرته التي كانت مؤلفة من زوجته وولده ابراهيم الى ان توفي الامير سنة ١٨٥٠ (في النبذة المدونة سابقاً عن تاريخ الامير بشير ذكرنا مكان دفنه وتاريخ نقل رفاته الى لبنان ١٩٤٧) .

وفاته : بعد وفاة الامير بشير الشهابي الكبير دخل بطرس مترجماً في نظارة الخارجية والباب العالي حتى مات سنة ١٨٥١ وقد مدح السلطان عبد المجيد بقصيدة يذكره فيها بزيادة راتبه وهي لم تطبع في ديوانه سجع الحمامه :

اتى على كبدي الحرى وتعذيبي

حوادث الدهر ترميني وتفري بي

وعاندتني الليالي مذ رأت اربي

فانما هي تجري بي لتجريبي

جرت بما ملكت كفاي من نشب

وعوضت عن عذيب العيش تعذيبي

وطوحت بي عن الاوطان واختلست

بعد الشبيبة مني كل محبوب

لم يبق لي ما به اقوى على جلدي

ولوعتي غير آدابي وتهذيبي

الى ان قال :

دار السعادة بل مأوى السيادة بل

يسار كل اخي عسر ومنكوب

ذات الخليجين من مجد ومن كرم

كل يفيض بحسن غير محجوب

علياء امته ترعى بروضتها

بنيَّة الشاة في أمن من الذيب

ومنها :

اتيتها مستجيراً في حمى ملك

قد ادب الدهر عدلاً اي تأديبِ

عبد المجيد الذي قد فاق سؤدده

صيد الاعاجم بل صيد الاعاريبِ

ومنها وقد ضمنها مآربه :

أجلبب العربي تركية وكذا

اوشح اللفظ تركياً بتعريبِ

ارجو زيادة احسان ترتب لي

فانه جاء نزراً بالتراتيبِ

وقد نظم في الآستانة قصائد كثيرة سمى ما جمعه منها : (سلامة العقول في منظومات اسلامبول) اما مانظمه في سوريا فقد طبع في ديـوان « سجع الحمامه » الذي جمعه الاديب سليم ناصيف وطبعه في بيروت سنة ١٨٩٨ ومن لطيف قوله في الآستانة :

مذ جئت اسلامبول شمت محاسناً

دعت المحاسن كلهن الى الورا

فلوكها شرف الملوك وربعها

خير الربوع واهلها نعم الورى

وقد أرّخ الشيخ ناصيف اليازجي وفاة شاعرنا بطرس كرامه بقوله :

مضى من كان اذكى من إياس

بحكمته وأشعر من زهير

فقل يا ابن الكرامة قر عينا

لبطرس ارخوه ختام خير

سنة ١٨٥١

نسله : توفي ابراهيم كرامه والد المترجم شيخاً سنة ١٨٢٤ ولا يزال ضريحه في دير المخلص بلبنان وعليه تاريخ بقلم ولده بطرس وهذا بيت التاريخ :

وبروضة الملكوت من مولاه قد

ارخته عطي الكرامة بالرضى

وقد ولد لبطرس كرامه خمسة بنين توفي اربعة منهم وعاش اصغرهم ابراهيم بك الذي ولد في دير القمر سنة ١٨٢٣ وترعرع على الآداب فأتقن العربية والتركية وبعض اليونانية وتقلد منصب الترجمة في نظاره الخارجية

مكان اولاده .

وجاء مع فؤاد باشا الي سوريا سنة ١٨٦١ ترجماناً ولأسباب نفي الى جزيرة مدلي حيث اقترن بيونانية من سكانها فولد له بطوس سنة ١٨٦٦ ثم عاد به الى القسطنطينية فعين عضواً في مجلس المعارف واقترح عليـــه تأليف معجم عربي وتركي فألفه .

اما ولده بطرس فدخل المكتب السلطاني في غلطه سراي وتضلع من التركية والفرنسية والعلوم وعرف اليونانية وألمّ بالانكليزية والايطالية وعاد الى بيروت سنة ١٨٨٥ وعين قائمقاماً لمدينة زحلة وتوفي سنة ١٨٨٨ وهو كاتب ضليع بالافرنسية وله نظم بليغ فيها وله مراسلات مع شعراء عصره فمن مداحه الشيخ ناصيف البازجي وجرجس ايلا من صيدا ، وكان شاعراً بليغاً لم يعتن بحفظ اشعاره ومما ابقته الايام من شعره قوله في غادة :

جاءت تزور من الافرنج غانية

وشعرها طال فينا ليلة الحلكِ

تقول صفْني وفسطاني فقلت لهـا

انت الغـزالة حلت قبـة الفلكِ

ولقد وُلد لبطرس الذكور صبيان وثلاث بنات لا يزال منهم اثنان على قيد الحياة وهما السيدة الفاضلة انسـا كرامه مدام الوجيه السيد جاك ثابت وشقيقها الكاهن المونسينيور اوريست كرامه وهما يقيمان في بيروت .

صفاته ومكانته الادبية وآثاره : كان شاعرنا بطرس كرامه ربعة

يميل الى الطول لطيف المحيا ممتلىء الجسم عالي الجبهة حنطي اللون مهيب الطلعة وكان دمث الاخلاق متوقد الذكاء ، فصيح اللسان ذا دراية وحكمة في حل المعضلات مطبوعاً على الشعر وديناً كما يبدو من اشعاره و كان عدا ذلك جيد الخط وضليعاً في اللغتين العربية والتركية ، وهذه المزايا هي التي حببته الى الامير بشير الشهابي الكبير والشعب فلا بدع اذا رأينا الامير يعتمد عليه في كل اموره .

اما بشأن مكانته الادبية فحسبك ان تعلم ان الشيخ ناصيف اليازجي قد صدر اول ديوان طبعه في بيروت بمدح شاعرنا بطرس فقال من قصيدة :

رجل وماذا وصفه وكفى به
رجل له المفهوم والمنطوق
حسن المعاني والبيان كلامه
جزل ومعناه الرقيق دقيق

وقال الاب لويس شيخو في كتابه تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر ص ٤٧ عن شاعرنا ما يلي :

لعب دوراً مهماً في ترقي الآداب العربية في اواسط القرن التاسع عشر وشعره أضبط وأطبع من شعر معاصريه تراه يتصرف بالمعاني ويخرجها على ابدع طريقة :

وممن كتبوا عنه وامتدحوه المؤرخ عيسى اسكندر معلوف والمؤرخ جرجي زيدان في كتابه تاريخ الآداب العربية والمطران يوسف الدبس في

الجزء الثامن من تاريخ سوريا والكولونيل الانكليزي تشرشل في كتابه عن لبنان .

اما الذين كاتبوه ومدحوا شعره فكثيرون نذكر منهم الشيخ ناصيف اليازجي والمعلم نقولا الترك ونصر الله طرابلسي وعبدالحميد البغدادي الشهير بابن الصباغ والشيخ فارس الشدياق والشيخ رشيد الدحداح ورزق الله حسون والسيد عبدالجليل البصري الطباطبائي الحسيني وسننشر فيما بعد بعض المراسلات الشعرية المتبادلة بينهم وبين شاعرنا ومنها يتضح للقارىء المكانة الادبية السامية التي كان يتمتع بها في عصره .

آثاره : لشاعرنا ثلاثة دواوين شعرية هي :

١ ـ سجع الحمامه في ديوان بطرس كرامة ، وهو مؤلف من ٤٠٠ صفحة جمعه الاديب سليم ناصيف وطبعه في بيروت سنة ١٨٩٨ ويشتمل على القصائد التي نظمها في سوريا .

٢ ـ القطع الدرية في منظومات الديار المصرية .

٣ ـ سلافة المقول في منظومات اسلامبول .

٤ ـ رسالة عن لبنان كتبها في القسطنطينية .

والآثار الثلاثة الاخيرة لم تطبع .

ولشاعرنا عدا ذلك قصائد ومراسلات شعرية كثيرة غير مطبوعة فان اشتغاله الدائم في القضايا الحكومية جعلته قليل العناية بجمع اشعاره آملين ممن بقي من ذريته على قيد الحياة ان يطبعوا هذه الآثار المحفوظة في مكتبة حفيده بطرس وفي مكتبة عيسى اسكندر معلوف في زحله .

اسرة البحري : ورد ذكر اسرة البحري في هذا الكتاب اكثر من مرة لذلك نرى ان نوضح ان اصل هذه الاسرة من الغساسنة قدمت الى حمص من جهات حوران واصلها يوناني كما ذكر المؤرخ عيسى اسكندر معلوف ومن هذه الاسرة حبيب بن جرمانوس بن ميخائيل البحري الذي تولى رئاسة ديوان الخديوي في مصر قبل عباس باشا وكان قبله في رئاسة الديوان عمه عبود بك البحري الذي كان وحيد عصره بحسن الخط والانشاء العربي والتركي حتى كان يضرب المثل بحسن خطه فيقال خط عبودي وهو اول نصراني نال فرماناً سلطانياً وكان والده ميخائيل البحري شاعراً اديباً وكاتباً بارعاً من نوابغ حمص في العلم والذكاء وقد تخرج على يده اولاده الثلاثة عبود وجرمانوس ويوحنا ، وابن اخته المعلم بطرس كرامه الشاعر المشهور فكانوا كلهم على شاكلته .

قال احمد البربير يمدح ميخائيل البحري الذي شهد له ادباء عصره بحسن القريحة :

رعى الله حمصاً اذ صبت نحو من له
بيان معان في البديع من الشعرِ
بليغ غدا كالبحر والنظم دره
وهل يستفاد الدر الا من البحرِ

الغـــــزل

الخالية المشهورة

امن خـدها الوردي افتنك الخال (١)

فسحّ من الاجفان مدمعَك الخالُ (٢)

وأومض برق من محيا جمالها

لعينيك ام من ثغرها اومض الخالُ (٣)

رعى الله ذياك القـوام وان يكن

تلاعب في اعطافـه التيه والخالُ (٤)

ولله هاتيك الجفون فانها

على الفتك يهواها اخو العشق والخالُ (٥)

مهـاة بامي افتديـها ووالدي

وان لام عمي الطيب الاصل والخالُ (٦)

---

(١) الشامة (٢) السحاب (٣) البرق (٤) الكبر والخيلاء (٥) الخلي من العشق (٦) اخو الام.

ارتنا كثيباً فوقه خيزرانة

بروحي تلك الخيزرانة والخالُ (١)

غلائلها والدر اضحى بجيـدها

نسيجان ديباح الملاحة والخال (٢)

ولما تولى طرفها كل مهجة

على قدها من فرعها عقد الخالُ (٣)

اذا فتكت اهل الجمال فانما

لهن على اهل الهوى الملك والخالُ (٤)

وليس الهوى الا المروءة والوفا

وليس لة الا امرؤ ما جد خالُ (٥)

وكم يدعي بالحب من ليس اهله

وهيهات اين الحب والاحمق الخالُ (٦)

معذبتي لا تجحدي الحب بيننا

لما اتهم الواشي فاني الفتى الخالُ (٧)

---

(١) الاكمة (٢) الثوب الناعم (٣) اللواء (٤) الخلافة (٥) سمح كريم
(٦) الضعيف القلب والبدن (٧) البريء من الريبة والتهمة .

ولي شيمة طابت ثناء وعفة
تصاحبني حتى يصاحبني الخالُ (١)
سلي عن غرامي كل من يعرف الهوى
تريْ انني رب الصبابة والخالُ (٢)
ولا تسمعي قول العذول فانه
لقد ساء فينا ظنه السوء والخالُ (٣)
سعى بيننا سعي الحسود فليته
اشل وفي رجليه اوثقه الخالُ (٤)
وظبية حسن قد رأيت ابتسامها
عشقت ولم تخط الفراشة والخالُ (٥)
توسم طرفي في محاسن وجهها
فلاح له في بدر سيمائها الخالُ (٦)
الى مثلها يرنو الحليم صبابة
ويعشقها سامي النباهة والخالُ (٧)

---

(١) الكفن (٢) الصاحب (٣) اتوهم (٤) الظلع والعرج (٥) التخيل
(٦) علامة الخير (٧) الصادق الفراسة والمخيلة .

ايا راكباً يطوي الفلاة ببكرة

يباع بها النهد المطهم والخالُ (١)

بعيشك ان جئت الشآم فعج الى

مهب الصبا الغربي يعن لك الخالُ (٢)

وسلم بأشواقي على مربع عفا

كأن رباه بعدنا الاقفر الخالُ (٣)

وإن ناشدتك الغيد عني فقل على

عهود الهوى فهو المحافظ والخالُ (٤)

وإن قلن هل سام التصبر بعدنا

فقل صبره ولى وفرط الجوى خالُ (٥)

لكل جماح ان تمادى شكيمة

ولكن جماح الدهر ليس له خالُ (٦)

ولما نشر هذه القصيدة ذاع صيتها في البلاد العربية واستحسنها الشعراء فخمسها الشيخ يحيى العاملي الشامي والشيخ موسى ابن الشيخ شريف المشهدي .

---

(١) البعير الضخم (٢) الجبل العظيم (٣) المكان الذي ليس فيه انس (٤) القائم على الشيء حق القيام (٥) ملازم (٦) لجام .

وعارضها بالنسج على منوالها الشيخ عبد الباقي العمري الموصلي وكان عندئذ في بغداد مادحاً منها واليها داود باشا مطلعها :

الى الروم اصبو كلما اومض الخالُ

واسكب دمعاً دون تسكابه الخالُ

وأنهاها بقوله :

فذي معجزاتي ما ارى ابن كرامة

يعارضها حتى يصاحبه الخالُ

والخال هنا بمعنى الكفن .

فلما وقف بطرس على هذه القصيدة قال :

ما بالها تبدي علي دلالها

ولقد جمعت بخالها خلخالها

انى تعارض من تملك حسنها

وجنى مباسمها وقبّل خالها

ما عاقني عن شوطها خال ولا

عم ولا واشٍ يعد وصالها

ان فاخرت بكرامة فانا ابنها
او فضل معجزة فخلّ مقالها

لكن انت بمديح اكرم ماجد
فأجازها كرم الصفات جمالها

وانتقدها الشيخ صالح التميمي من ادباء العراق فقال متحاملا :

عهدناك تعفو عن مسيء تمذرا
الا فاعفنا عن رد شعر تنصرا

ولكن الشعراء استاؤوا وقامت قيامتهم على هذا الشيخ المتحامل فانتقده الشيخ رشيد الدحداح في كتابه « قطرة الطوامير » انتقاداً مطولا وأجاب عليها بطرس بقصيدة مطلعها :

لكل امرىء شأن تبارك من يرى
وخص بما قد شاء كلاً من الورى

وحكم بينهما السيد عبدالجليل البصري الطباطبائي الحسيني فخطأ الشيخ صالح التميمي ومدح بطرس كرامه بقصيدة نثبت منها ما يلي :

حكمت وحكمي الحق ناءٍ عن المرا
بان التميمي الاديب تعثرا

بذم قواف في تمام جناسها

وذلك نوع في البديع تقررا

وكم قام من اهل الكتابين زمرة

جنوا من رياض الشعر ما كان مثمرا

فمن كابن عباد يجاري مهلهلا

وكان مسيحياً تقدم يشكرا

وكالاخطل المعروف شاعر تغلب

يسوق به القسيس في الدير كالفرا

ومنها في مدح بطرس :

كما شاع حر الشعر في بيت بطرس

وفي نجله بين المدائن والقرى

فصيح رقى أوج البلاغة يافعاً

فأشعاره حلى بها ربع قيصرا

لأفكاره غر القوافي قريبة

وعن غيره بعد الثريا من الثرى

اتى منه نظم هدّ حجة صالح

وان كان في المنظوم قدماً تصدرا

وقد كان لي من صالح خير صحبه

وعند اتباع الحق ما زلت اجدرا

لكل ثرا بي قد قضيت بحقه

واسأل بارينا الهدى والتبصرا

وهذه قصيدة الشيخ عبدالباقي العمري الموصلي معارضاً بها الخالية ومادحاً والي بغداد :

الى الروم اصبو كلما اومض الخال

فاسكب دمعاً دون تسكابه الخالُ «١»

وعن مدح داود وطيب ثنائه

فلا القد يثنيني ولا الخد والخالُ «٢»

مشير الى العليا اشار فطأطأت

واصبح مندكاً لهيبته الخالُ «٣»

• (١) السحاب الممطر (٢) الشأن (٣) الجبل العظيم

مناجيها انقادت لأعتاب بابه

كما انقاد مرتاحاً الى العطن الخالُ «١»

وقد نالها اذ اوتي الحكم حكمة

الهية فصل الخطاب لها خالُ «٢»

مليك ملاك الامر والنهي كله

اليه انتهى والحكم في الارض والخالُ «٣»

حكى نهر طالوت ببسطة علمه

وفي فضله ذاك الفتى الماجد الخالُ «٤»

توسم عرافاً بسيماء دهره

فخوله النعمى وما كتب الخالُ «٥»

وصدق فيه ما تخيله النهى

وفيما سواه قلما يصدق الخالُ «٦»

فيالرجال من علاه تفرسوا

اغر عليه من نسيج العلى خالُ «٧»

---

(١) الجمل الضخم (٢) ملازم (٣) الخلافة (٤) السمح الكريم (٥) التخيل (٦) الصادق المخيلة (٧) ثوب يماني .

اذا اعتركت آراؤهم عرضت لهم

كتائب رأي من نهاه لها خالُ «١»

عصامي نفس سودته جدوده

فلا الجد يجديه ولا العم والخالُ «٢»

له العلم خدن والكمال منادم

وحسن السجايا والحجى الخل والخالُ «٣»

هو الصدر منه القلب كالصخر في الوغى

اذا طاش في غلوائها السو كل الخالُ «٤»

ووهم الليالي ان تمادى جماحها

فهمته الكبرى الشكيمة والخالُ «٥»

توهم قوم ان يجاروه في العلى

فلم يجدهم ذاك التفكر والخالُ «٦»

يشق على من لا يشق غباره

رهان الذي عن شوطه عاقه الخالُ «٧»

---

(١) لواء (٢) اخو الام (٣) الصاحب (٤) ضعيف القلب (٥) اللجام (٦) التوهم (٧) الطلع والفرج .

عفا الله عنه قد عفت بعد بعده
من اللذة الزورا المعالم والخالُ «١»

وهيهات ما دار الرصافة بعده
ولا الكرخ الا السبسب القفرِ الخالُ «٢»

ولكن بهذا العصر انت كجنة
بها تتباهى ربوة الشام والخالُ «٣»

ورضوانها اليوم النجيب مشيرها
يحافظها مولى عليها هو الخال «٤»

عظيم وقار لو تراءى ليذبلٍ
تصاغر منحطاً وطاوله الخال «٥»

حماها حماه الله من كل ريبة
تشين علاه فهو من ريبه الخالُ «٦»

فلا زال كلٌ منهما طود رفعة
يلوح عليه مع تواضعه الخال «٧»

---

(١) العلامة والاثر (٢) الذي لا انيس فيه (٣) موضع بالشام (٤) القائم حق القيام (٥) الاكمة الصغيرة (٦) البريء من الريبة (٧) الكبر .

واني وان كنت الرديف نظامه

لمبرقة حسن الروي بها الخالُ «١»

فذي معجزاتي ما ارى ابن كرامة

يعارضها حتى يصاحبه الخالُ (٢)

---

(١) لفظة الخال (٢) الكفن

وخمّسها الشيخ يحيى العاملي الشامي فقال :

اخا لك ذا عزم هو الصارم الخالُ
وحلم وان طاش الحليم هو الخالُ
علام الاسى ما الخال انت ولا الخالُ
امن خدها الوردي افتنك الخالُ

فسح من الاجفان مدمعك الخالُ

ارى بك وهناً طال بعد مطالها
ورأيك وهناً ما سرى من خيالها
فكيف اذا ما لاح بدر كمالها
وأومض برق من محيا جمالها

لعينك ام من ثغرها اومض الخالُ

سرت بجفاها جسم حب ولم تعن
دماء محب في المودة لم يخن

فقلت وان كان الذي كان لم يهن

رعى الله ذياك القوام وان يكن

تلاعب في اعطافه التيه والخالُ

اساءت زماناً في الاحبة ظنها

وراعت وما راعت جناناً اجنّا

فلله ما زرت عليه مجنها

ولله هاتيك العيون فانها

على الفتك يهواها اخو العشق والخالُ

منحت هواها والزمان معاندي

فعاندني فيها طريفي وتالدي

وما عطفت يوماً على رغم حاسدي

مهاة بامي افتديها ووالدي

وان لام عمي الطيب الاصل والخالُ

وقائلة ما ينفع الغيد بعدما

غدوت سقيما ناحل الجسم معدما

فقلت وما كان التصابي محرما

اذا فتكت اهل الجمال فانما

لهن على اهل الهوى الملك والخالُ

اتعجب مني ان اطلت التلهفا

وارسلت دمعاً كلما غاض او كفا

وتعذلني ان رحت في الحب مسرفا

وليس الهوى الا المروءة والوفا

وليس له الا امرؤ ماجد خالُ

فكم من خلي في الانام سعى له

اطاع برغم الاريحية جهله

وجانب وعر العشق دهراً وسهله

وكم يدعي في الحب من ليس اهله

وهيهات ان الحب والاحمق الخالُ

قضيت اسى ان قرب الهجر بيننا
ولم نتقاض في المودة ديننا
فقلت وقد رام العواذل بيننا
معذبتي لا تجحدي الحب بيننا

لما اتهم الواشي فاني الفتى الخالُ

فاني وان زفت بثينة زفة
لحملي او ارعت حشا مستشفة
فلي عزمة ما سامها الدهر خفة
ولي شيمة طابت ثناء وعفة

تصاحبني حتى يصاحبني الخالُ

صبوت ومن مثلي صبا لن يؤنبا
اذا راح مكلوم الفؤاد معذبا

وان تجهلي ما بي اذا هبت الصبا

سلي عن غرامي كل من يعرف الصبا

ثري انني رب الصبابة والخالُ

دعي فند الواشي وما قد أجنّه

من الغدر فينا خيب الله ظنه

وراعي فتى اكثرت في الهجر انهُ

ولا تسمعي قول العذول فانه

لقد ساء فينا ظنه السوء والخالُ

وخود تريك الحتف يسري امامها

غداة رمت عن كالقسيّ سهامها

ونضت محياها وأبدت قوامها

وظبية حسن مذ رأيت ابتسامها

عشقت ولم تخط الفراسة والخالُ

وشمس يرد الطرف عن درك كنهها
وما الشمس ان ابدت محيا بشبهها
نظـرت فلمـا لم تسمني بحبهـا
نوسم طرفي في محاسن وجهها

فـلاح له في بـدر سيمائها خالُ

تجلت فكم اجلت اسى وكآبة
وحيت فكم احيت نفوساً مصابة
مهاة يذاد اللحظ عنهـا مهابـة
الى مثلها يرنو الحليم صبابة

ويعشقها سامي النباهة والخالُ

لي الله كم من عبرة بعد عبرة
ازلت وكم من زفرة بعد زفرة
اطلت اذا ما قلت من بعد حسرة
ايا راكباً يطـوي الفلاة ببكرة

يباع بها النهد المطهم والخالُ

ومجتهداً يفري نحوراً من الفلا

يبيت لديه آخر الفج اولا

ومتخذاً بيد المفاوز منزلا

بعيشك ان جئت الشآم فعج الى

مهب الصبا الغربي يعن لك الخالُ

وبث غرامي جيرة من ذوي الوفا

بجيرون لا يدرون ما الجور والجفا

وان جئت رسماً بين رامة والصفا

فسلم بأشواقي على مربع عفا

كأن رباه بعدنا الاقفر الخالُ

وان جئت ربعاً ما خلا بعدنا ولا

تغير من وقع الحوادث والبلا

فحيّ الالى اصفيتهم خالص الولا
وان ناشدتك الغيد عني فقل على

عهود الهوى فهو المحافظ والخالُ

وان سألت هل بالرضا دام بعدنا
وجانب ناديناً واخلف وعدنا
فقل لا ولكن من اسى حتفه دنا
وان قلن هل رام التصبر بعدنا

فقل صبره ولى وفرط الجوى خالُ

تمادت نفوس في الجماح ذميمة
ولم تخف الايام وهي عليمة
بان ضروب الغدر للدهر شيمة
لكل جماح ان تمادى شكيمة

ولكن جماح الدهر ليس له خالُ

وخمسها ايضاً الشيخ موسى بن الشيخ شريف المشهدي :

اراك بوجد لاينوء به الخالُ

وفرط هوى اي والهوى بالحشا خالُ

فما انت من سامي به الدنف الخالُ

امن خدها الوردي افتنك الخالُ

فسح من الاجفان مدمعك الخالُ

فهل فاح في ناديك عـرف دلالها

واسفر منهـا فيـه صبح كمالها

وهل بعد صد لاح بدر وصالها

وأومض برق من محيا جمالها

لعينيك ام من ثغرها اومض الخالُ

خيول الاسى ذاك القوام اعنها

علي وكم من غارة قد اشنها

رعى الله من لم ترع قلباً اكنها

ولله هانيك الجفون فانها

على الفتك يهواها اخو العشق والخالُ

اذا مادهى صبري وقل مساعدي

وأفرط في لومي حميمي وحاسدي

وقيل لها افدي طريفي وتالدي

مهاة بامي افديها ووالدي

وان لام عمي الطيب الاصل والخالُ

فكم مهجة ظلماً رمتها بلجة

من الوجد والتبريح من غير حجة

وقادت ملوكاً قد حوت كل بهجة

ولما تولى طرفها كل مهجة

على قدها من فرعها عقد الخالُ

فدع عنك ما خولت ان كنت مغرما
وكن لهوى الغيد الحسان مسلما
اما كنت تدري بعدما كنت مرغما
اذا فتكت اهل الجمال فانما

لهن على اهل الهوى الملك والخالُ

اذا كنت ترعى الود في الجهر والخفا
فلا ترتكب نهج التباعد والجفا
فليس الوفا الا المودة والصفا
وليس الهوى الا المروءة والوفا

وليس له الا امرؤ ماجد خالُ

اذا لم ترد علّ الغرام ونهله
فلا ترتكب نهج التباعد والجفا
فكم جاهل بالحب لم يعص جهله
وكم يدعى بالحب من ليس اهله

وهيهات اين الحب والاحمق الخالُ

قضينا بها وجداً ولم تقض ديننا

وقرب وشك البين والبعد حيننا

بحق الهوى ان كنت ازمعت بيننا

معذبتي لاتجحدي الحب بيننا

لما اتهمُ الواشي فاني الفتى الخالُ

ابت شيمتي الا المودة حرقة

والا الوفا ماعشت في الدهر ألفة

ولي همة لم تكسني قط خفة

ولي شيمة طابت ثناء وعفة

تصاحبني حتى يصاحبني الخالُ

امرتجة الاعطاف من نشوة الصبا

اليك فؤاداً في هـواك معـذبا

وياظبية تسبي بمقلتها الظبا
سلي عن غرامي كل من يعرف الصبا

تري انني رب الصبابة والخالُ

سلي مغرماً ما خامر النوم جفنه
وما برح الوجد المبرح شأنه
ولا تقبلي ممن غدا اللوم فنه
ولا تسمعي قول العذول فانه

لقد ساء فينا ظنه السوء والخالُ

فهلا عذولي اي صب لحيته
واي فؤاد بالملام فريته
ولما بنى جهلا على اللوم بيته
سعى بيننا سعي الحسود فليته

اشل وفي رجليه اوثقه الخالُ

وثنايا ماشربت مدامها

هي الغصن لبناً حين هزت قوامها

بل البدر حسناً مذ اماطت لثامها

وظبية حسن مذ رأت ابتسامها

عشقت ولم تخط الفراسة والخالُ

بدت تسحب الاردان من فرط تيهها

تحف بها من كل بيضاء شبهها

بديعة حسن لم اطق وصف كنهها

توسم طرفي في محاسن وجهها

فلاح له في بدر سيمائها خالُ

لها حسن وجه قد كساها مهابة

به فتنت من كل حي عصابة

حري لمثلي ان يئن كآبة

الى مثلها يرنو الحليم صبابة

ويعشقها سامي النباهة والخالُ

الى الله كم من خطرة بعد خطرة

اتاحت لقلبي زفرة بعد زفرة

وكم رحت من شوقي انادي بحسرة

ايا راكباً يطوي الفلاة بيكرة

يباع بها النهد المطهم والخالُ

ويا صاحب الوجناء عرج بها على

محل عليه بعدنا حكم البلا

ويا راكباً قد شق افئدة الفلا

بعيشك ان جئت الشآم فعج على

مهب الصبا الغربي يعن لك الخالُ

وعج بي على رسم به العيش قد صفا

وربع لنا قد كان بالانس مألفا

وان كنت من اهل المودة والوفا
فسلم بأشواقي على مربع عفا

كأن رباه بعدنا الاقفر الخالُ

بما بيننا من خالص الود والولا
ترفق بقلب عن هوى الغيد ماسلا
وبلغ سلامي من اود وان قلا
وان ناشدتك الغيد عني فقل على

عهود الهوى فهو المحافظ والخالُ

فان قيل هل يرعى اخو الود بيننا
وهل هو بعد البين لم ينس عهدنا
فقل هو يرعى الود ان شط او دنا
وان قلن هل سام التصبر بعدنا

فقل صبره ولى وفرط الجوى خالُ

ابت لي مقام الذل نفس كريمة

تؤازرها مني على الدهر شيمة

واني ارى مذ بي تمادت عزيمة

لكل جماح ان تمادى شكيمة

ولكن جماح الدهر ليس له خالُ

وقال :

اراكَ سخي الدمع طال بك الامرُ
ابرح فيك الحب ام نفـد الصبرُ
ابحت الذي قد كان عنـدي مكتماً
واعلنت وجداً فيك ام خفي السر
نعـم انـني في الحب ميت صبـابة
فاطوي غـراماً ثم ينشره الفكرُ
يهيجني ذكر الربوع واهلها
وكل اخي عشق يهيجه الذكرُ
تذكرت ازمان الاحبة واللقا
ليـالٍ وأيام بوصلهم قصرُ
ليـالٍ قطعناها ونحن بمجلس
تجـلى على بدر السماء لنا بـدرُ
من الخود هيفاء القـوام غريرة
تحلت بها الجوزاء وابتهج النسرُ

وقد ظهر المريخ في سيف لحظها

وقابلت الاقمار فانبهم الامرُ

ومن نور ثدييها النجوم قد اكتست

ومن سحر جفنيها لقد علم السحرُ

كلفت بها حباً وشط مزارنا

وكم منع العشاق من لذة دهرُ

رضعت هواها ثم صرت فطيمها

فبدء الهوى حلو وآخره مرُ

لقد كنت في رحب قبيل غرامها

فرحت بها مضنى وضاق بي البرُ

الا رب يوم كان لي فيه موعد

بصدق اجتماع الشمل وارتفع العذرُ

فجئت وقد غاب المنيران والسهى

وقد ظهرت في الافق انجمه الزُهرُ

ولما تلاقينا وقد غاب كاشح

ونام رقيب واطمأن بنا الخدرُ

اماطت عن الوجه المنير لثامه

فاشرق منـه البـدر اذ بسم الثغرُ

تذود عن المرجان في صحن خدهـا

حيـاء بأجفان لهـا النهي والامـرُ

وازرت بغصن البان لمـا تمايلت

بأعطـافها الحسنا يرنحها سكرُ

واعجب ممـا في الجبين رأيته

ظـلام وصبح لاح بينهما بـدرُ

فلولا ظلام الشعر لاح بنا الضيا

ولولا ضياء الوجه جن بنا الشعرُ

وباتت تعاطيني المدام صبابة

ومن ثغرها الالمي المدامة والخمرُ

تدير الحميا بالظلام على سنا

كؤوس عقيق قد تضمنها الدرُ

تصافحني وجداً فيعطفني الهوى

وأجذبها شوقاً فينعطف الخصرُ

وما راعني الا الصباح مفاجئاً

وقد ذهب الديجور مذ طلع الفجرُ

ولما اعتنقنا للتفرق وانقضت

ليلتنا رحنا وادمعنا بحرُ

وقمت عليلا بالغرام مقيداً

واودعتها قلباً تلظى به الجمرُ

وقال متغزلا :

كفى فان سحاب الجفن قد وكفا

واقبلي ان ما لاقيت منك كفى

قد حن لي مضجعي عند المنام كما

قد رقّ لي عاذلي عند البكا لهفا

من لي بساحرة العينين مائسة الـ

ـعطفين قامتها الهيفا حكت الفا

لم انسَ حين اتت تهتز من ولهٍ

لدى المحب وتثني قدها كلفا

ماست بغصن غلاه البدر واكتسبت
مستشرفين من البلور قد خطفا

يا عاذليَّ دعاني فالهوى تلفي
ولست اصغي لعذل فاتركا السرفا

وعللاني بذكراها ومعهدها
وأطربا مغرماً في حبها دنفا

احبابنا كيف حال العهد عندكم
ان المحب بحال الحب ما خلفا

فمن رأى لوعتي بالوجد بان له
صدقي وجدٌّ به عشق وقد شغفا

ولو رأى وجهك الوضاح بدر دجى
لعاد مستتراً او راح منخسفا

معذبي وليالٍ بالهوى سلفت
وخمر ثغر رشفناها فكان شفا

ما لذ جفني بنوم بعد بعدكم
كلا وداعي الكرى بالطرف ماهدفا

هيهات ما كل ذي عشق اخا تلفٍ

كلا ولا كلّ صب بالغرام وفى

وقال متغزلا :

لا وعينيك والجبين وجيدك

ما سلوت الهوى وطيب عهودك

كيف اسلو وجلنار فؤادي

يتلظى من جلنار خدودك

سلبت مقلتاك اسود قلبي

فهو خال للحسن بين نهودك

كل شيء لديّ في الحب سهل

من اليم العذاب غير صدودك

قد هتكت الغصون عطفاً ولينا

بقوام يهتز تحت بنودك

شرح لام العذار رد على من

لام صباً مسلسلاً بقيودك

رسل عينيك صيرتنا عبيداً

فاتق الله في عذاب عبيدك

كم هدانا الصباح من فرقك الو

ضاح لما ان جُنّ ليل جعودك

ان عرف الخزام في ثغرك العذ

ب الاقاحي والمسك طي برودك

نصبت فتنة لكل سليم

صورة الحسن في لجين زنودك

فحياتي شهود سامي محيا

ك وموتي ان لم اكن من شهودك

لذي صاغ وجنتيك وروداً

داوِ قلبي بشم طيب ورودك

واسقني الصرف من سلافة ثغر

باسم عن مثال در عقودك

اتلف البين مهجتي ياحبيبي

فاشفها منعماً بفضل ورودك

جد بوعد ان لم تجد بوصال

فلعلي ارى الشفا بوعـودك

قد كساني الصدود ثوب سقام

ومضى بالمنام خوف وعيدك

رد نومي عسى يلم خيال

منك بي لاعدمت طيب رقـودك

يارعى الله طيب عهد التداني

وزمانًا صفا بانس وجـودك

قال متذكراً بعض معاهد الفيحاء :

سرى النسيم بعرف من ربى الطلل
مؤرجاً من ربوع الحي والحللِ

محملاً نشر اشواق تفوح لنا
اريج عطر شممناه على عجلِ

اتى فخبّر عن ذات الجمود وعن
ام الخدود وعن رنانة الحجلِ

جرى فذكرني يوم الوداع وما
عهدته باعتناق الحب والقبلِ

ياقلبُ صبراً وكن منه على امل
من حيث قررت ان العيش بالاملِ

وذات حسن عرفناها وكم ذرفت
يوم الرحيل دميعات من المقلِ

تأيت عنها ودهري غير معتدل
وسوف من بعده يأتي بمعتدلِ

قامت تودعني يوم البعاد ضحى

تميس مثل اهتزاز الشارب الثملِ

ثم استمرت وقالت وهي باكية

تالله ما عشت عن حبيك لم املِ

واشوق قلبي لذياك الحمى. والى

اغصانه السالبات اللب بالميَلِ

لله صب غدا بالوجد منفرداً

مؤرق الطرف بياتاً على العللِ

وجاذبته رياح الفجر عرف اسىً

ونحت قده الاشجان بالوجلِ

ياحادي الركب قف بالشط معتكفاً

نحو الديار وعج عن ايمن الجبلِ

وانشد هنالك عن قلبي المشوق وسل

ناشدتك الله عن جيراننا الاولِ

وسائل الريح هل مرت بذي جدر

فوق الكناس ذوات الاربع الخضلِ

وقف بموجاء وادي النهر واعشُ الى

تلك الطلول ومل بالربع واشتملِ

عسى تصادف من اضحى به تلفي

ومن سباني بنبل الاعين النجلِ

فاشرح له حال صب ما يكابده

من لوعة البين والتشتيت والنكلِ

لولاه ما بات لي جفن اريق اسى

كلا ولا فاض لي دمع على طللِ

سقاك ياربع احبابي ومعهدهم

دمعي صباحا ودمع العارض الهطلِ

كيف السبيل الى السلوان ياتاني

هذا غرامي وفيه منتهى اجلي

وقال في دمياط بعد عودته اليها :

راقت لعينيك بعد البين دمياط

وفي الفؤاد من الاشواق إفراطُ

حللتها بعد ما شط المزار بنا

وحادث الدهر بالاحرار شطاطُ

ليس الزمان بمحمود خلائقُهُ

اذا استوى فيه ذو جهل وبقراطُ

ابيت ارعى نسيمات الشآم عسى

يزورني من صبا لبنان قيراطُ

واسأل النجم في الظلماء مرتقباً

عن شادن ماعرا حبّيهِ اسقاطُ

ساجي اللواحظ وردي الخدود له

خال من الزنج فوق الثغر مرباطُ

لولاه ما راعني بين ولا سهرت

عين ولا جددت للوجد امراطُ

لولا الفراق لما اردى الحشا زمن

له من الغدر حالاتٌ واغماطُ

افديه من قمر يعلو على غصن

ما هاج رونقه الوضاح اسماطُ

فكيف اسلو وهذا الريم في كبدي

وفي الحشاشة رتاع وحطاطُ

عليه مني سلام الحب ماتليت

آي وما زيّح القرطاس خطاطُ

وقال متغزلا :

ياسالب النوم من عينيّ ما سُلبا

يكفيك اضرمت في احشائنا اللهبا

من نبل مقلتك الوطفاء واحزني

ومن مجيري اذا ناديت واحربا

علمت أني اخو وجد وذو شغف

فرحت تعبث بي عجباً فواعجبا

كفى بقلبي عذاباً ان سمحت وان

منعت يابدر اني لم انل اربا

اوردتماني ايا طرفي ويا كبدي

هذا الغرام فذوقا الشهد والوصبا

وقال :

ظبي بلبنان قد سلت لواحظه

للعاشقين سيوف الغنج والحورِ

مورد الخد ساجي الطرف مبتسم

عن الحباب وعن طلع وعن درر

في ذمة الله ذاك الريم ان له

بين الجوانح عهداً غير مندثر

افديه من قمر كم بت ارصده

شوقاً له وهو في سمعي وفي بصري

لو لم يكن قمراً ضاءت محاسنه

ما اصبحت داره تعزى الى القمر

وقال :

ندعي اذا شاهدت مني خلاعة

فدعني بلا لوم غداة الترنم

كمنجة حسون وصوت نفيسة

بأمـوال قارون وزهـد ابن ادهم

وسمع بمصر قينة تدعى ام رضوان فقال :

رعى الله مصراً ان مصراً لجنة

يزول بها عن صاحب الهم همهُ

ففي جنة الفردوس رضوان وحده

وفي مصر رضوان كذلك امهُ

وقال في مليح يروح له بمروحة :

اقول لظبي ساحر الطرف قد غدا

يروّح لي مهلاً فدتْ حسنك الروحُ

فان بقلبي من غـرامك جمـرة
تزيد اشتعالاً كلما جاءت الريحُ

وقال في مليح واضع خده على كفه :

قد وسد الخد على كفه
ظـبي بلحظيه دمي يستبيح
نـادى محياه الا فانظروا
فـوق الثريا قمراً يستريح

وقال في مليح ينطق الشين سيناً :

يامن انزه عن شين محاسنه
ولم يشنه سوى هجر الحبيب فقط
ما جاءت الشين سيناً منك عن غلط
بل لم تسعْ فمك الزاهي ثلاث نقط

وقال في خال بين نهدين :

بروحي خال بين نهديك قد بدا
اذعت بـه وجـدي واعلنته سري

وما هو خال يا اخيَّ وانما

سويداء قلبي تستجير من الهجرِ

وقال في خال :

سألت الحب عن خال مقيم

بذيل الثغر زاد به التهابي

فقال وقد تبسم عن جمان

عبيد حارس صافي الرضاب

وقال ايضاً :

عقارب صدغه لدغت فؤادي

وسيف اللحظ منه القلب اردى

وانزل فوق ذيل الثغر خالا

ليمنع من طلى الشفتين ورِدا

وقال :

ياميَّ حبك كم يبيت معذباً

يرعى النجوم ولم يذق طعم الكرى

يصبو الى البـدر المنـير لأنـه
تمثال وجهك في السماء تصورا

وقال في حسناء من دير القمر اسمها ورده وقد لبست ثوباً احمر :

وردية الخد بالوردي قد خطرت
تميس تيهاً وتثني القـد اعجابا
لم يكف قامتها الهيفـاء مافعلت
حتى اكتست من دم الطلاب أثوابا

وقال متغزلا :

نمام عارضه وفتان طـرفه
سبيا الانـام بأخضر ديعاني
فتن العذول ونم قلت مناظراً
لهفي على النمام والفتان

وقال في لابسة طنطور :

ومطنطر فتكت لواحظه بنا
واذاع فينا الفتك ثم اشاعا

فكأن خلقته لدى طنطوره
بدر اقام على الجبين ذراعا

وقال :

وشادن تخجل الاقمار طلعته
في ثغره الدر وضاح وبراقُ
لاتعجبوا ان بكى طرفي له دررا
اذا تبسم ان الطرف سراق

وقال :

اقبلت تنجلي وفي معطفيها
نظر العاشقين مثل النطاقِ
ماثرى بردها وقد صبغته
من سواد القلوب والاحداقِ

وقال متغزلا :

باح الفؤاد بسر كنت اخفيه
فكيف يخفى الهوى والشوق يبديهِ

مازلت اكتم سر الحب في كبدي

حتى اذاعت دموعي كل ما فيه

وحق ايام انس واللقاء به

وحق ورد بهي كنت اجنيه

وحق مافعلت تلك الجفون بنا

وحق خمر حواه الدر في فيه

ما باح نطقي بكتمان الهوى ابداً

لكن عيوني ابدت ما اواريه

وجد بي الوجد من عذل العذول وكم

بدا رقيب بهذا الوجد يلحيه

فيا ليالي قد مرت معانقة

مع الحبيب قصيرات بناديه

وكم اويقات انس بالربوع لنا

فوق الاماني سقاها الغيث ساريه

كم موعد قد اقمنا للقاء بها

وضمنا الربع اذ ضمت حواشيه

ياطالما ذاب قلبي في هـواه وكم

بـدا لييلاً برشف الثغر ينشيه

عجبت من شخص قلبي مات فيه اسى

وكيف رشف زلال الريق يحييه

فيانسيماً سرى من مهجـتي سحراً

قف بالجديد واعطف عن يمانيه

تجد نسيم غرام نافح وبه

معطار نشر فعرج نحـو مهديه

وسر بلطف الى المحبوب متبعاً

اريج عرف ذكي ثم من فيه

فانزل وسلم على ذاك الغزال وقل

يقريك حبك شوقاً كاد يفنيه

واخفض جناحاً لديه عند رؤيته

واشرح غرامي الذي فيه اعانيه

وقد تركتُ كئيباً فيكم شبحاً

من الصبابة قد بانت خوافيه

يا صاح ان جزت ذاك الحي معتمداً
نحو الانيس الذي طابت امانيه
او جئت ياصاحبي نحو الديار فجز
حمى العبيْد وعطفاً عن شماليه
واقرأ تحية حب كالخيال فلم
يدع له الوجد معنى من معانيه
فيالييلاتنا اللاتي سلفن لنا
هل انت بالطيف ميت الحب تأتيه
احبابنا لم يكن لي بعد بعدكمُ
صبر ولا جلد مما اقاسيه
لك السلام ايا ربع الحبيب ويا
حمي الحبيب ويامغنى اهاليه
لك السلام ايا يوم العناق ويا
يوم الوداع ويايوماً الاقيه

وقال :

قالت وقد رنحت بالتيه قامتها
ماذا تقول بقدي العادل الحسن

فقلت غصن فقالت وهي معرضة
قد شبه الغصن بعد الجهد بالغصنِ

وقال :

قالوا بحاجب من احببتها أثر
فقلت مهلاً فلي من ذاك صدق خبر
لفرط مارشقت من قوس حاجبها
نبـلاً رأينا لوضع النبل فيـه أثر

وقال :

بهجتي الرشأ المكحول ناظره
بالسحر والظـبي سحـار بعينيه
مـيم المدامة تروي مـيم مبسمه
فـواشتياقي لري بين ميميه

وقال :

هجرت ربعك لا بغضاً ولا مللاً
لكن لحفـظ وداد لن اخالفـه

فانت غصن وفي قلبي عظيم هـوى

والغصن مر الهـوا يثـني معاطفـه

وقال متغزلا :

اخـو الصبابة يعلم

ماذا يـلاقي المتـيم

يالائمي لست تدري

خل الملامة واسلم

قلـبي اسير غـزال

بدر الجمال به تم

ظـبي بعينيـه سحر

هـاروت منـه تعلم

قـوامـه سمهـري

يهتز والطرف لهـذم

من منصفي او مجيري

من عادل منه اظلم

رقيق خصر ولكن

فؤاده ليس يرحم

اذا رآني سقيماً

يقول جفني اسقم

يضن باللثم تيهاً

ولا يزال ملثم

اواه من خمر ريق

اواه در منظم

يا عاذليَّ استريحا

من الملام الى كم

افديه من ذي جمال

هواه في الناس قسم

وقال :

افدي الذي بلحاظه وجبينه

فتن الظبا والبدر عند تمامه

سبحان من جعل المحاسن كلها

فيه وعذبني بلين قوامه

في خده مثل اسمه والخصر مثـ
ـل حديثه والقد مثل مقامه

وقال في افرنجية لا تعرف من العربية سوى جملة « ما شاء الله » :

هام الفؤاد بأفرنجية جمعت
شمل المحاسن في خلق وفي خلقِ
قد جاءنا قول ماشا الله من فمها
مثل ما جاءنا من ساحر الحدقِ
فقلت هل حل للصب المتيم ان
يقبل الثغر قالت حل في عنقي

وقال :

ناولتها وردة فافتر مبسمها
عن الاقاح وأبدت نرجس المقلِ
وقام يهزأ بي ورد بوجنتها
فرحت من روضة الازهار في خجلِ

الحكم

قال يشكو الدهر :

للمرء في حادثات الدهر آمالُ
وللنوائب إقدام وإجفالُ

وكل ليل له من ذاته سحر
وللبكور من الايام آصالُ

وبينما المرء في يسر يدور به
عسر كذاك مع الادبار إقبالُ

ان اكثر الدهر من امن ومن زنة
فلا تغر ففي الاكثار إقلالُ

فكن مع الدهر ذا امن وذا وجل
في الحالتين فان الدهر ميالُ

ولا يدوم به صفو ولا كدر
ولا تدوم مسرات واوجالُ

ولا تقل ذا لحلم ساد مرتفعاً

ولا تقل ذا لجهل ساءه الحالُ

كم ساد في رتب العلياء رب حجى

وكم تحكم في العلياء جهالُ

حكم من الله اعيا كل ذي حكم

وقد تطاول فيه القيل والقالُ

يرقى الجهول غداة الجهل في زمن

ويرتقي عند حلم الدهر عقالُ

فشا كل العز ان لم تلق ميسرة

فانما العز حلال ورحالُ

وقل لربع بكى يوم الرحيل اسى

لا خيل عندك تهديها ولا مالُ

فالعز عند رسيم اليعملات فلا

ترضى الهوان ولا تخدعك اطلالُ

اذا افيضت كؤوس الصاب في بلد

يفيض في غيرها شهد وجريالُ (١)

فاطوِ القفار وخير الصحب منجرد

قيد الاوابد او عوجاء مرسال (٢)

وثابت لايهز الخطب جانبه

قلب له من شديد البأس اوصالُ

لاتيأسن اخا البأساء من فرج

يأتيك من حيث لا يرتاده البالُ

من ذا الذي لم تصبه قط نائبة

فالناس كلهم في ذاك امثالُ

ان الورى غرض للنائبات فلا

يصان منها صعاليك واقيالُ

ان عشت لاتعدم الخيرات في زمن

وان تمت فلكل الناس آجالُ

---

(١) خمر (٢) ناقة سريعة

ماذا تؤمّل من دهر اخي ختل

عذب الفرات سواء فيه والآلُ (١)

قد اكثر الدهر من غدر ومن نكد

وما رعى ذمة اذ قام يغتالُ

لا ذنب للدهر ان الدهر ليس له

حكم وان كثرت في ذاك اقوالُ

وانما الدهر افعال الرجال فان

تخط النهى نسبت للدهر افعالُ

ياصاحبيَّ دعاني من ملامكما

واقصرا ان هذا اللوم قتالُ

ليس الملامة بعد الفوت نافعة

ماذا تفيد وازجى الهم ارسالُ (٢)

فالشمس يصحبها بعد الضحى طفل

ويعتري البدر اخفاء واهلالُ

---

(١) مايبدو ماء وليس بماء (٢) افواج .

ياليت شعري اعن لبنان عندكما

علم وعن دارة القمراء تسآلُ

ومعشر وهبوا الهيجا نفوسهمُ

ولم يفر لهم قوم ولا آلُ

ليت الذي حل من جبن ومن فشل

بقومهم حله عضب (١) وعسالُ (٢)

سل المعالي والسمر العوالي هل

للامر الاذكي الحلم رئبالُ

فمن اضاعوه فالعلياء شاهدة

له وتشهد اعوام واجيالُ

كأنه في صدور المجد بدر دجى

دارت به كالنجوم الشهب انجالُ

كأنه بهم والحرب دائرة

على كتائبها ليث واشبالُ

---

(١) سيف (٢) رمح

يا نسمة من ربى لبنان واردة

عليله لم يعقبها قط اعلالُ

سرت فنم سراها عن شذا جبل

قد جاده من عميم الجود هطالُ

هل ياترى يذكر الاحباب ماعهدوا

من عهدنا ام تناسوه بما نالوا

قد يسأم المرء مافي كفه فاذا

نأى تذكره والجفن سيالُ

ان قلت صبراً فان القلب علمه

من الحداثة حسن الصبر عذالُ

ابيت بين الهوى والصبر يعذلني

في الصبر والحب اسراع وامهالُ

استودع الله ربعاً قد عفا طللاً

بعد الفراق ظبياً ساءه الفالُ

وبدر حسن روى لما شكا اسفاً

للمرء في حادثات الدهر آمالُ

درة القريض وشفاء المريض

هـــذه القصيدة غير واردة في ديوانه قالها مستغفراً عمـــا فرط منـــه ومناقشاً اهـــل المادة في آرائهم الفـاسدة وهي طـــويلة نثبت منهـا ما يلي :

نأى الوجد عن قلبي وأعيت بلابله
وبانت لبانات الهـوى وبلابـله
الا اندب زماناً قد صرفت بكوره
ضـلالاً وقـد مرت سفاهاً اصائله
فكم خضت بحر المعصيات مفاخراً
وقصرت رجـلاً عن ثواب تقاتله
وكم اسمعتك الحادثات نصائحاً
فلم تنقطع عن سوء فعل تواصله
فدع عنك ذكـر الغانيات فكم به
هـوى فاصل كانت تضيء فضائله

وخل الاغاني فالاغاني حبالة

يصاد بها سامي الذكاء وخامله

ولا تشرب الصهبا فان بشربها

سواء يُرى قس البيان وباقله

فيا شقوتي ان لم تأجج ندامة

لظى كبدي والطرف يهتن وابله

ويا لهفتي ان لا اتوب بتوبة

اغاث بها من ويل ذنب انازله

فياحي ياقيوم ياغافر الخطا

لمستغفر يامن يري الرشد سائله

ويامن وعدت التائبين برحمة

وعفو وان ذنب تطاول طائله

الا اغفر لعبد اثخنته مآثم

ومن جملة الاوزار قد كل كاهله

فان كان ذنبي قد تعاظم جرمه

فعفوك بحر ليس يدرك ساحله

فياويح قوم قد عصوك واركنوا

الى الكفر فانصبت عليهم غوائله

فان اثبتوا فعل الطباع ببعضها

فبدأ هذا الفعل من هو فاعله

ويلزم من هذا دوام تسلسل

وهذا محال لاتصح مسائله

فمن سيّر الاقمار في درجاتها

على دوران لا تخل منازله

فان كان جذباً مثلما قدروا فمن

ترى اوجد الجذب الذي هو كافله

فياملحداً امسى على الله منكراً

فان وجود الله صحت دلائله

فمن ابدع الكون البديع نظامه

ومن ذا على ترتيبه الدهر شامله

فان قلت ان الكائنات تمدها

فقد لزم الدور الذي شاع باطله

فويلك من انشا العناصر اولا

وصيرها في مركز لا يزايله

وان قلت اجزاء قديم وجودها

تحركها بالطبع كانت تعامله

فوافق وقتاً انها قد تألفت

على هيئة منها نشا الكون كامله

فما هذه الاجزاء هل بارادة

تحركها ام جاء بالقسر عامله

فان كان قسراً فهي تحتاج موجداً

يقيم بها فعلاً سريّاً تفاعله

وان كان عن قصد اتى فهي ربكم

تقاسمه عالي الوجود وسافله

فيا واحداً يا قادراً يا مهيمناً

تنزه عن ضد وند يماثله

أنلني عفواً من لدنك ومنةً

وحسن ختام ارتجيه وآمله

وقال :

يامن يروم من الدنيا نوال مني

خذ النصيحة من مهدي جواهرها

لاتأت فعلاً اذا لم تدرِ آخره

حسن النِعال كمين في اواخرها

ولا تكن عجلاً في الامر ذا وله

وخذ لنفسك صبراً عن خواطرها

وسل وشاور اخا عقل وتجربة

من الحوادث ماضيها وحاضرها

اذا سلكت مع الايام معتمداً

هذي النصائح تنجو من مخاطرها

وقال :

ان تصحب الناس فكن صابراً
واحمل على النفس اذى الصبر
فقبضك الناس مداراتهم
وذاك كالقبض على الجمر

وقال :

اضحى النبيه اخو البراعة صامتاً
مُلقى سدى وحديثه مهجورُ
وغدا البليد اخو الجهالة ناطقاً
فيما يشاء خطاؤه مشكورُ
صدق المقال الدهر دولاب فما
بسوى الحمير او البغال يدورُ

وقال مودعاً احد اصحابه :

عجباً لدهري كيف اصبح ناظراً
نحوي بعين الحاسد المرتابِ

ان كنت في الاوطان او في غيرها

يعدو علي بفرقة الاحبابِ

وقال :

صابر على الاخطار في طلب العلى

ان اكتساب المجد بالاخطارِ

لاتضجرن اذا عرتك مصيبة

نوب الزمان صياقل الاحرار

المراسلات الشعرية

تبودلت بين المترجم والشعراء المعاصرين مراسلات شعرية كثيرة اخترنا منها القصائد التالية :

قصيدة بعث بها الى الامير امين الشهابي وكانا بعيدين عن لبنان :

من سفح لبنان ام من ذيل لبنان
يانسمة هيجت شوقي واشجاني
كيف المنازل هل من بعدنا ابتسمت
ثغورها البيض عن در ومرجان
وهل كعهدي على الافنان صادحة
وُرق الرياض بتغريد وألحان
حييت لبنان من طود يباكره
ودق الغمام بهطال وهتان
حكى الجنان بأنهار ملأتة
تفيض شهداً لدى حور وولدان

دارت به جاريات الماء ساقية

مثل السواقي تجارت بين ندمانِ

تشب ناران فيه من قرى وهوى

بين المرابع من اسد وغزلانِ

تحمي جفون الظبا احياءه وترى

ظباءه تقتل الاحيا بأجفانِ

تقاسم الفتك اهلوه فأصبح في

لحاظ غيد وفي اسياف فتيانِ

حكت قدود غوانيه مرنحة

رماح فرسانه ياخجلة البانِ

لم انسَ لم انسَ اياماً به سلفت

قضيتها بين احباب وخلانِ

مضت وأبقت لنا في القلب حسرتها

تبث بين الحشا انفاس نيرانِ

بالله يامشرق الاقمار هل نبأ

عن ساكن الغرب يشفي قلب ولهانِ

غصن من البان يعلو فوقه قمر

ظبي بلبنان لا ظبي بعسفان

بذمة الله ذات الخال ان لها

عهداً يدوم على وصل وهجران

فتانة لا يزال الدل يصحبها

لحاظها وسيوف الهند مثلان

مهجتي افتدي بدراً بساحله

مهفهفاً مثلما اهواه يهواني

مكحل الطرف من سحر ومن حور

مطرز الخد من ورد وريحان

ألحاظه سكرت من خمر ريقته

فعاز لتنا بفتاك وفتان

اسماء لاتجزعي ان بات يبعدني

عنك الزمان فان الشوق ادناني

سقى زمانك يا اسماء صوب حيا

فانه كان عندي خير ازمان

عصر سعدنا به وقتاً كما سعدت
ام العلى بأمير ماله ثانِ

نعم الامين وذو الفضل الثمين ومن
بالذات يعرب عن حسن واحسانِ

مولى من الشهب تحكيها مآثره
كما روت نسباً عن آل عدنانِ

بدر الملاحة بل صدر الفصاحة بل
بحر السماحة بل طعان فرسانِ

مهذب لم يشنه غير جود يد
تهمي من البذل سحباناً بسحبانِ

ينظم الدر في سلك ويرسله
شعراً يتيه على منظوم حسانِ

وان نضا صارماً في يوم معركة
يفرق الجمع من خيل وركبانِ

والله ماراق لي من بعد فرقته
انس ولا راق لي شهم بديوانِ

قلبي لديك امين الحب مرتهن

وانت تعلم اسراري وإعلاني

رفتني بكتاب دام مرسله

شفى الفؤاد وحياني فأحياني

ألفاظه درر جاءت على غرر

من المعاني فأنست ذكر سحبانِ

خذها له يا امير المجد جارية

رقيقة بسمت عن عقد عقيانِ

فامدد اليها يداً بالعفو تشملها

يا ابن البشير الذي كفاه بحرانِ

شهم حليف المعالي عند همته

حرب الزمان وسلم الدهر سيانِ

عزيز نفس كريم لا يغيره

وقع الحوادث او تبديل اوطانِ

كأنه البدر لا تخفى بوارقه

والبدر يشرق من قاصٍ ومن دانِ

ما حاجه منصب حتى يسود به

بل ساد طبعاً بمعروف وعرفانِ

ادامه الله والانجال ما صدحت

بلابل بالاغاني فوق افنانِ

بعث شاعرنا الى صديقه المعلم نقولا الترك في بيت الدين بهذه القصيدة :

يا نائياً وفؤاد الصب مأواهُ

رفقاً بمن اضرمت بالوجد احشاهُ

وعامل الله في قلب غدا دنفاً

قد بات يرعى حبيباً ليس يرعاهُ

كسا النوى بدني ثوب السقام وقد

نفى الحبيب منامي عند ذكراهُ

استودع الله من في الطرف منزله

حباً وان سار كان القلب مسراهُ

سلوه ان يمنح المشتاق بعض كرى

لعل طيف خيال منه يلقاهُ

كيف السلو ولي عهد يذكرني

من الحبيب وداداً لست انساهُ

سقى معاهد لبنان الحيا غدقاً

وجادها من سحاب الجود اوفاهُ

لقد سما طوده بالامن مفتخراً

والبر زينهُ والعدل انشاهُ

طابت مرابعه بالشيح واتشحت

من الخزامى بثوب الرند صحراهُ

وقام غصن النقا يهتز من طرب

لما شدت في رياض العزّ ورقاهُ

ومن زهور الربى فاح الشذا عطراً

يا حبذا نشره الذاكي ورياهُ

وغار سوسنه من عين نرجسه

وقام ورد البها يزهو بسيماهُ

ولؤلؤ الطل في جيد الاقاح حكى

ثغر الحبيب اذا افترت ثناياهُ

والياسمين من النسرين في وله

يصافح البان لما اهتز عطفاهُ

ياحبذا بيت دين المجد ان له

عزاً تسامى على الافلاك مبناهُ

طوبى لمن فاز في قرب ولثم ثرى

وعفر الخد في لألاء حصباهُ

ضاءت بافق علاه الشهب وارتفعت

فوق الثريا ثرياه وجوزاهُ

باهت محاسنه بالعز وافتخرت

كل المحاسن في اوصاف مولاهُ

اعني البشير الذي بالنصر جاء وقد

روى شهاب السنا عن نور علياهُ

ان قلت بحر فمن كفيه مندفق

او قلت ليث فان الليث يخشاهُ

وحقه وهباتٍ من يديه بدت

لنا وروضته الغنا وعناهُ

ما حان عن حب من يبدي لنا درراً

في سلك شعر لسمعي ما احيلاهُ

البارع الفاضل الندب الشهير ابو

النظم البديع فوا شوقي لمرآهُ

مهذب من بني الاتراك قد شهدت

لنظمه العرب لما استنطقوا فاهُ

كأنه بلبل الآداب حين شدا

شعراً بليغاً غدا قلبي معنّاهُ

رعى المهيمن ذاك الخل ان له

بين الجوانح شوقاً بت أصلاهُ

اخا الوداد اما من حيكم خبر

يشفي الذي كحلت بالسهد عيناهُ

كفى المتيم ان البين أتلفه

والصبر عز وداعي الشوق أضناهُ

بحق ايامنا اللآلي سلفن لنا

وكأس صفو قديماً قد رشفناهُ

رفقاً بصب غدا في الحب ذا وصب

يانائياً وفؤاد الصب مأواهُ

وبعث برسالة الى الياس غريب في اللاذقية متشوقاً :

أخا الانس هل ابصرت صباً مولعاً

يجيب نداء الشوق مثلي إذا دعا

وهل عاينت عيناك قلباً هيامه

يحن لفقد الالف وجداً اذا وعى

تجاوبني الورقا اصيلاً وغدوة

اذا سمعت مني حنيناً مسجعا

ولما دعاني البين صبراً اجبته

ولبيته لما دعاني تطوعا

وحققت ان الصبر للصب شيمة

فعاقبني شوقي وقلبي تمنعا

بني الود رفقاً في فتى ذي صبابة

فيكفيه من كأس النوى ماتجرعا

خليليَّ من فيحاء وادي معذبي
اديرا على سمعي الحديث واسمعا
ولاتذكرا نجداً ولا بارق اللوى
سوى دارة الفيحا بحقكما دعا
ولا تذكرا ليلى ولا قيس عامر
ولا تذكرا الخنسا ولا صخرها معا
اخيَّ اذكرن من حل في لاذقية
لقوم كرام لا يلام الذي سعى
اناس حكوا زهر النجوم وصاحبي
بموكبهم بدر فيا سعد من رعى
وهبت نسيمات الصفا بعرفها
تصافح زهراً بالرياض تنوعا
سقى الله ذاك الحي صوب مسرة
وحيَّا صحاراه السحاب توسعا
غدا في حماه ابن الغريِّب ساكناً
هنيئاً لذاك الحي اخصب مربعا

فريد تسامى في مآثره التي

تفردها كل الكمال تجمعا

نديمي لاتذكر اياساً لانني

علمت بان الياس قد بات ابرعا

رضيع لبان الفهم خير مؤدب

بربع فضل قد نشا وترعرعا

الا رب يوم زارني خطه الذي

كثغر حبيب بالرضاب تلمما

فلله كم اهدى الي معانياً

تفوق على الدر الثمين ترفعا

اخا المدح اني قانع بكتابكم

ورب كتاب جاء يشفي التلوعا

فلا تهجرن صبا لغيرك ما صبا

ولا تنس مضنى بالسوى ما تلوعا

وكتب مجيباً الشاعر المجيد نصر الله فتح الله الطرابلسي في حلب :

ورد الكتاب مصرحاً ومسطراً

بحديث محبوب عشقت ولم ارى

وافى وكان وروده ورداً لذي

ظماٍ ألم به الغرام وسعّرا

ففضضت منه ختامه ولطالما

فاضت دموع قبله لن تنكرا

ولثمت محياه فأشرق ثغره

ورشفت كأساً من لماه معطرا

وثملت لما ان رشفت سلافة

صهباء حب لاسلافاً اصفرا

اهدى الى المشتاق نشوة مغرم

فاحت رياح الشوق منها عنبرا

فكأن اسطره ذوائب غادة

هيفاء لاحت من ترائب قيصرا

وكأن صفحته صفيحة وجه من

ملك الجمال بها العذار تعذرا

او ان احرفه مراشف اغين

تعطي الرحيق معللاً ومقطرا

وقلائد العقيان خلت جمانـه

او ثغر محبوب تبسم جـوهرا

اربى على سحبان سحب فصاحة

لو شامها الكندي عاد مؤخرا

وكذا ابن ساعدة الايادي لو رآ

هُ لعاد منه مخجلاً متسترا

رق النسيم للطف معناه كما

شهد الفؤاد بفضله لما قرا

ياحسن برق من محياه بدا

عن نصر فتح الله راح مخبرا

نشأت بنصر الله روح صبابة

وابى فؤادي غيرها ان يذكرا

فرع لفتح الله اينع مخصباً

بحديقة الآداب شب واثمرا

واه من حر البعاد وطالما
جار البعاد على الاحبة وافترى
خذها لقد وافت من ابن كرامة
برسائل الاشواق تهدي الاسطرا
تنبيك عن صب سماعي الهوى
متجاوز حد القياس لدى الورى

وقال يجيب الشيخ فارس الشدياق على قصيدة بعث بها اليه :

اقبلت تنجلي وفي الخد شامه
تستبي كل من رآه وشامه
بين خطي قامة وحسام
من جفون اربت على الصمصامه
زججت حاجباً فأصبح قوساً
فأراشت للعاشقين سهامه
وجلت مبسماً نفيض جفوني
در دمع اذا رأيت ابتسامه

اخجل الورد وجنتاها فأضحى

ذا احمرار مشققاً اكمامه

غازلتنا والحب فيها كمين

فأذاعت من كل صب غرامه

لاعب الدل عطفها باهتزاز

فأقامت على الغصون القيامه

جردت ابيضاً بأسود جفن

وغزتنا ظلماً بأعدل قامه

اسقم السحر طرفها فأعارت

يوم بين للعاشقين سقامه

من عذيري بظبية ورد خديها

لفتك العيون اوفى علامه

تسترق النهى برقة خصر

يستفز الاشياخ وهي غلامه

ياخلياً اضحى يلوم شجيا

لست تدري الهوى فخلّ الملامه

ومحيا تحت اللثام هلال

وهو بدر اذا ازاحت لثامه

لو رأيت العيون وهي سكارى

رحت ذا سكرة بغير مدامه

ان للحب لذة لم يذقها

من تولى عليه حب السلامه

عندي الخد عن دمي سل خضابا

زاد حسناً بنانه وسلامه (١)

من ظباء الأتراك ظبي رشيق

فتن العرب حين هز حسامه

عجباً في الجبين ليل وصبح

كيف لاينسخ الصباح ظلامه

ياغزالاً غزا القلوب بلحظ

عمرك الله قد سلبت الكرى مه (٢)

---

(١) ظهر الكف (٢) اكفف .

جد بوصل على الكريم بنفسٍ

لوصال حاشاك تأبى الكرامه

ما سلوت الهوى وحق جمال

فيك وافٍ وذي ابرْ قسامه

ياندامای والزمان موافٍ

مالدهر على العهود استقامه

اين عهد مضى وعصر تقضى

بين اسد الشرى وغزلان رامه

لو صحا الدهر من سلافة جود

شق أطواقه بكا وندامه

كيف يصحو وباقل صار قساً

وغدا مادر يعيب ابن مامه

وادعت بالجمال كل لكاع

وتوارت بثينة وامامه

وعن الورد قيل هذا قتاء

وعن البدر قيل هذي قلامه

قدّر الله ان يجود زمان

لم ينل فيه ذو الكمال مرامه

حسد الفضل مثلما حسد الدر

ي منثور فارس ونظامه

شاعر يخجل الفرزدق شعراً

وبليغ ينسيك ذكر قدامه

قد اتى بالبديع تحت قواف

حصنتها من البلاغة لامه (١)

بمعان مخدرات جمان

كل عشر يشرقن من تحت ذامه (٢)

فارس ان نضا اليراع لنظم

اخجل الفارس المجيد حسامه

لست تدري اذاك سحر بيان

ام سلاف اذا تلوت كلامه

ألمعي اخو الذكاء اديب

لوذعي بل فاضل علاّمه

---

(١) درع (٢) كلمة .

مشرقات الالفاظ اطلعن دراً

حين جاءت مطيعة اقلامه

قد اتاني منه كتاب فابرا

من فؤادي غليله واوامه (١)

كل صب يرى كتاب حبيب

بعد بعدٍ كأنه شام لامه (٢)

ياخليلاً اهدى الى الصب خوداً

بنت نظم غراء ذات وسامه (٣)

تنجلي بالبديع حسنا فيصبو

نحوها كل عالم فهّامه

عمرك الله قد اتيت بدر

ايقوم الكلام نظماً مقامه

ان دهراً شكوته هو دهر

ليس يدري كرامة واستقامه

---

(١) عطشه (٢) شخصه (٣) جمال .

اخذ الغدر شيمة فحلاهُ

ان نراه مخاصماً اعلامه

ساء طبعاً حتى على ذاته جا

ر فاعطى كف الزوال دوامه

كن سليماً فان من فطر الخلـ

ـق مفيض في خلقةٍ انعامه

وعد النفس ان سيأتي زمان

يحسد الروض بهجةً ايامه

هذه غادة اتتك بحسن

منك نالته ساحراً يا إمامه

بنت نظم قد زانه منك فضل

عم بالحسن بدءه وختامه

وقال في رسالة الى عبدالباقي العمري مضمناً :

ايا فاضلاً حاكت معاني صفاته

عيون المها بين الرصافة والجسر

قصائدك الغراء لما قرأتها

جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وكتب عبدالحميد البغدادي الشهير بابن الصباغ الى شاعرنا قائلا :

تبشم الزهر عن انفاسكم فسرى
من طيب ذكركمُ نشراً فاحيانا
فمن هناك عشقناكم ولم نركم
والاذن تعشق قبل العين احيانا

فأجاب بطرس كرامه بكتاب افتتحه بقوله :

عشقتكم من قبل لقياكم
وكل معشوق بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلة
لكنها من نورها تعرفُ

وصف الطبيعة

يوم الجمعة في ٣ صفر سنة ١٣٢٨ ﻫ سقط ثلج لم تر البلاد مثله هلكت بسببه نفوس كثيرة ودمرت بعض القرى وسدت الطرق وكان قد سبق ذلك كسوف الشمس فقال شاعرنا في ذلك مؤرخاً :

هاجت رياح في الشمال تجولُ
وتقدمت ريح الجنوب تصولُ
وتناوحت حتى كأن هبوبها
فرسان حرب اقبلت وخيولُ
هبت وقد جعل الغمام ظليلها
فكأنما هو قسطل مسبولُ
والبرق في افق السماء كأنه
بين الرياح أسنة ونصولُ
والغيم في أوج الفضاء كأنه
درع عليه مزرد مقفولُ (١)

---

(١) محبوس

ونما الضباب على الهضاب معمماً

قمم الجبال كأنه اكليلُ

وتزاحمت فرق السحاب وقد بدا

للرعد في وسط الغيوم صهيلُ

مازالت الانواء تخبط جيشها

حتى عرا جيش الضياء افولُ

والشمس قد كسفت بشهر محرم

وجرت على اثر الكسوف سيولُ

وتكاثف النوء الشديد وقد اتى

صفر بغرته الرياح تجولُ

وبجمعة في ثالث منه اتى

ثلج يطوف على البطاح ثقيلُ

ثلج عجيب ما رأينا مثله

كلا ولم يخبر به منقولُ

متدفق متزايد يومين مع

ليل تتابع هطله الموصولُ .

عم الجبال كذا البطاح جميعها
وتعممت منه ربى وسهولُ

واشتد هذا الثلج حتى لم يكن
من هوله لابن السبيل دخولُ

قد لازم الناس البيوت مخافة
يوماً وكلٌ بالدعا مشغولُ

وانسدت الطرقات حتى ليس بيـ
ـن الجار والجار القريب سبيلُ

كم قرية اضحت به مغمورة
ما بان منها منزل وطلولُ

وبجلق لما اناخ ركابه
ملئت بواديها به وتلولُ

لله كم من انفس هلكت وكم
من مربع غض علاه ذبولُ

ولفرط شدته وهول مصابه
حارت به ابصارنا وعقولُ

وعرا الانام مخافة لما دنا

خطب جسيم بالثلوج جليلُ

فتصايحت تلك الخلائق بالدعا

لله فهو الحافظ المسؤولُ

شمل الانام برأفة نلنا بها

امناً وزال الهم والتنكيلُ

والشمس قد كسفت فقلت مؤرخاً

ثلج اتى وبه الكسوف دايلُ

١٢٢٨ هـ

وقال في نهر نمت على شطيه شجرتان متقابلتان احداهما غضة والثانية ذابلة منحنية :

انظر الى النهر كم ابدى لنا طرباً

ان السرور كصافي مائه دفقا

تحكي عوارضه صدغ الحبيب اذا

دب العذار على خديه وافترقا

شجيرتان على شطيه قد نما

تقابلاً مثل معشوق ومن عشقا

كأن احداهما ذات الجمال بدت

وتلك عاشقها يشكو لها الحرقا

وقال في ميزاب ماء جار من قناة نهر الصفا :

عج بميزاب سروراً قد غدا

نزهة الرائين يروي كل عين

دافقاً مثل حسام مصلت

او كقوس صيغ من ذوب اللجين

هامياً مثل عطايا ذي السنا

من حكى البحر بفياض اليدين

الشهابي البشير المرتقي

بشهاب الفضل اوج الفرقدين

دام محفوظاً بسعد وعلا

مابدا في الافق نور القمرين

وقال في قرنفلة بيضاء مخضبة بحمرة وفي المجلس ناي يصدح :

كانت قرنفلة بيضاء مشرقة

مثل اللجين تحاكي ثغرها الدررُ

لكنها عندما الناي الرخيم شدا

ابدت هواها ففاجا خدها الخفرُ

الموشح المشهور

هذا الموشح المشهور لشاعرنا بطرس كرامه الذي نظمه عندما جر الامير بشير الشهابي الى منزله الماء بقناة استوفت جمال الهندسة من ينبوع يسمى الفوار ومنهل يعرف بالقاع ونهر يدعى الصفا سنة ١٢٣٠ هـ .

وقد نشر خليل سركيس سنة ١٨٦٤ هذا الموشح في كراس اشتمل على ستة موشحات اندلسية ايضاً ودعا هذا الكراس « الدراري السبع » :

صاح قد وافى الصفا يروي الظما

بشراب كوثري العبس

وأفاض الشهد في روض الحمى

لجلا الغم وبرء الانفس

حبذا الفوار منه حين راق

فأرانا ماؤه ذوب اللجين

نزه القلب عن الهم وراق

بسنا صافي صفاه كل عين

نـثر الدر بفيض واندفاق

وسقى الوارد احلى الاطيبين

قد جرى عذباً فأغنى الندما

بزلال عن رحيق الأكؤس

وعلى الاغصان القى النعما

فـزهت مثـل ندامى العـرس

دور

نشرت بالقاع اعلام الزهور

عندما القـاع جـرى نعم الغدير

من رآه في سواقيـه يـدور

قال ساقٍ في جـواريه يـدير

فاشرب اللذات من كأس السرور

واطرب سمعاً بأنغام الغدير

ان ثغر الزهر منه بسما

والغصون انشغفت بالميس

دور

يالله نهراً بهياً واردا

في قناة اصبحت سلك العجب

منهلاً يعطيك كأساً بارداً

بالصفا يمزج فوار الطرب

ياهنا من كان منه واردا

أمنت احشاؤه حر اللهب

نادت القيعان لما قدما

مرحباً في ذا الحبيب المؤنسِ

وعلى الكثبان لما سلما

نعمت في حلل من سندسِ

دور

جدول اهدى لنا ماء الحياه

من ميازيب الشفا يشفي الجوى

اخبرت عن جنة منه المياه

وروى عن كوثر لما روى

من يقل ان الصفا مثل الفراه

قيل لا اخطأت في ذكر السوى

قد صفا ماءً واضحى مفعما

لاتقسْهُ بالسوى لاتقسِ

وجرى بين الروابي منعما

فزها كل هشيم يَبِسِ (١)

دور

فاملَ لي ياصاح منه القدحا

واسقنيه فالصفا من ذا الصفا

ان صوت الماء صبحاً صدحا

فردوه تحرزوا منه الشفا

كل من وافاه نال الفرحا

وسلا الآلام لما رشفا

---

(١) يابس .

فابتدر سلساله مغتنما

مورداً يحيي فؤاد المحتسي

لترى ما كان قفراً معدما

بربيع الخير اضحى مكتسي

دور

جاء باسم الله مجراه الى

بيت دين المجد منقاداً مطيع

كانفجار الصبح يبدو من علا

ذلك السفح الى الروض البديع

وتباهى جارياً يعلو على

كل طود شامخ الانف منيع

ملئت منه السواقي فطمى

دافقاً كالعارض المنبجس

فغدا بالخصب يزهو منعما

كل ربع مقفر مندرس

دور

دار في دار السنا مثل العريس

يتهادى برداء جوهري

حوله السرو كعشاق عيس

في رداء من حرير اخضرِ

تبتغي لثم محياه النفيس

والحيا عنها بالنظرِ

تتراءى قائمات خدما

حوله منعطفات الارؤسِ

وعليه ساهرات هيما

تلتوي اعناقها بالنفسِ

دور

اطلع الزنبق يسقي الياسمين

من ندى اقداحه صرف العقار

فاعتلى المضعف بالحسن المبين

وانثنى البان عليه ثم غار

وأتى النسرين بالعطر الثمين

فتدانى نحوه أنف البهار

نقل النمام ان العنما

عانق النوفر عند الغلسِ

والاقاحي قد اعار الخزما

خفية تاج الشقيق الاطلسي

دور

غرد الميزاب كالصب الولوع

وتصابى حين صب الدررا

رقصت تلك السواقي والربوع

وتغنت جاريات سحرا

لاعب الطالع من تلك النبوع

نوفرات مسفرات غررا

وسبيل الصفو منه قسا

موكب الحزن بأفراح القسي

طفح الانبوب شوقاً عندما

شاهد البدر لديه يحتسي

دور

قد بدا من بركة فوارها

اخذ الجوهر تاجاً ساطعا

وانثنى اذ ضمه دوارها

يتسامى في سعود طالعا

شاهدت لما اتت زوارها

عمد البلور منها لامعا

احسبنه اهيفاً محتشما

قائماً في وسطها بالحرس

ضمن الفضة والدر فما

خشية من خلسة المختلس

دور

وانجلى في بركة تحكي العروس

والانابيب لديها كالجواري

اشرقت من صدرها تلك الكؤوس

كنجوم اشرقت تحت الخمار

حسنها الزاهي يفدّى بالنفوس

تنجلي في قاعة من خير دارِ

اظهرت صدراً عليه رسما

بلآلٍ وعقيق انفسِ

وعلى جبهتها قد رُقما

ايها الظامي هناء فاحتسِ

دور

خلتهُ كالعقد في صدر الهضاب

ووشاحاً جاء من خُضر الربى

فيه لا في عقد ربات الخضاب

نجتلي النشوة ثم الطربا

فهو كالحرز على تلك الشعاب

يمنع الجدب ويشفي اللغبا

سلسل الامواه تدعو المغرما

برخيم الصوت قم وأتنس

وشدا الطير على غصن نما

بشروا الدوح بحسن المغرس

دور

يا سُقاة الراح هبوا للسرى

وارشفوا راح الصفا من مائـه

واملؤوا الاقداح منه جوهرا

فالصفا الكامل من اسمائه

ودعوا ذاك الشراب الاصفرا

فخمول العقل من إغوائه

ماترون الانس فيه رنما

ان ذا الماء شفاء الاخرس

والظباء العين تهوى النغما

بجوار الماء لا بالكُنُسِ

دوو

ان ذا السلسال يجري مقترن

بمديح السيد الباني العُلى

لم يذقه خائف الا امن

وغدا اعجوبة بين الملا

تاه بالمولى الذي اجراه من

مربع يعجز عنه ذو العلا

وحكى فياضه جوداً همى

من يدي مولاه بدر المجلس

هو ذو المجد امير العظما

دام محفوظاً بروح القدس

دور

كوكب العدل البشير المرتضى

والهمام الاريحي الاوحدُ

جاء بالنصر بشيراً فأضا

بشهاب السعد منه فرقدُ

وشح الايام اثواب الرضا

فغدت ذات ابتسام يحمدُ

جاء في كفي سخاء منهما

اصبح الطائي نسياً منتسي

يغتني من من يديه لثما

راحة تسعد حظ التعسِ

دور

قد سما في نسب زاه صحيح

مشرق من آل مخزوم الكرام

جده الحارث ذو الفضل الرجيح

والصحابي الجليل ابن هشام

حاز بالاصل وبالفعل المديح

اذ بدا افضل جوّاد همام

اصبح الدهر بـه مبتسما

وانجلى وجه الزمان العابسِ

وبماضي خير عدل حسما

هامة الظلم وجيد الدنسِ

دور

اشبهت آثاره زُهر النجوم

وعلى اعلامه تثني الامم

جاء من نهر الصفا الماء يعوم

في قناة عندما ابدى الهمم

شكر الله وبالشكر تدوم

نعم الله على اهل النعم

ظفرت كفاه بالاجر لما
شادتاه من ربوع دُرُسِ

وجزي اعظم اجر حينما
اورد الماء الغزير اللعس

دور

هلّ في غرة شعبان الصفا
وبسرى خمس ساعات يسير

بعد حفر في تراب وصفا
عاش من اجرته كل فقير

وأتى في عام خير وصفا
هو في تاريخه جود غزير

كلف العمال عاما تمما
ثم عاما خاليا من سدس

زاد ان اجراه مولى الكرما

البشيرِ الغيث ليث الوُطُن (١)

دور

ايها الشهم الذي افنى العدى

وعلى ألطف خلق قد ملك

ما رأينا قط قبلاً اسدا

فاتكاً مثلك في انس مَلك

اسبغ الله عليك المددا

لنؤدي بنجاح عملك

زد صفاء بالصفا محتكما

في سرور بالثناء الاقدسِ

خلد الله عليك العز ما

طلع البدر بداجي الحندسِ

دور

(١) المبارك

وقال في حوض ما، حفت به الاشجار في بيت الدين :

عرج على حوض به طاف الصفا
يهدي المسرة والصفاء لمن يرى
حفت به الاشجار وهي نواضر
وتلفعت للحسن ثوباً اخضرا
فكأنه المرآة وهي عرائس
ينظرن ايتهن اجمل منظرا

المدح

قال شاعرنا يمدح الامير بشير الشهابي الكبير :

الا حيي بكأسك واستنيري
شهاب النصر من وجه البشيرِ

وزيدي الكأس واسقيني الحميا
على ضاحي محياك المنيرِ

مدام لاح منها البدر مزجاً
وشمس ان تكن صرف العصيرِ

وقد حبك الضياء لها حباباً
فهل لك ان تديري بالكبيرِ

سلاف ليس يدركها زجاج
لها كأس من العقل البصيرِ

مشعشعة تلوح بكف ساقٍ
هتكت بحبه حجب الستورِ

واشرقت الصبابة للندامى

كاشراق النجوم من البدورِ

بروض مالت الاغصان فيه

كما ملنا الى وصف الاميرِ

امير بني المكارم والمعالي

بشير النصر والكرم الوفيرِ

مجيد لاح للسارين بدراً

ليهدي الوافدين الى المسيرِ

تحلى بالكمال كما تحلت

مكارمه بسؤدده الخطيرِ

فما سلت ظباه قط الا

لتغمد بالخناجر والنحورِ

وان ظمئت رشاق السمر تروي

اسنتها ينابيع الصدورِ

الى علياك وافت بنت فكر

لتصدح بالثنا الوافي العطيرِ

من ابن كرامة تهدي دعاء
ومدحا في الاصائل والبكورِ

وقال يمدحه :

ملكت الفخر في طلق كريم
فلم تترك لغيرك قط حمدا
وفياض المكارم منك يهمي
فلم يك في الانام سواك رفدا
وقد سقيت بكفك كل ارض
لذاك ترى الكرام اليك وفدا
وقد مالت ولاة الامر طراً
تجدد بالصلات اليك عهدا
حباك الله قدراً قد تسامى
فكنت برتبة العلياء فردا
كأن الجود في كفيك بحر
بلا جزر تراه يفيض مدا

وقال مادحاً ايواناً يجلس فيه الامير بشير وفيه منزلان معدان لجلوسه :

وايوان مجد برج ليث تخاله
به كوكب الاقبال اصبح مشرقا
حوى منزليْ عز كأنهما به
السماكان والبدر البشير به ارتقى

وقال في باقة زهر منحه اياها الامير بشير :

وباقة زهر من مليك منحتها
معطرة الارواح مثل صفاته
فأبيضها يحكي جميع خصاله
وأصفرها يحكي نضار صِلاته
وأزرقها عين تشاهد فضله
وأحمرها يحكي دماء عداته

وقال في بستان حل به الامير بشير :

وبستان زها شرفاً وحسناً
بزورة كوكب الشرق البشير

حللناه فاس الغصن عزاً

ومال مقبلاً ذيل الامير

قال عندما اصيب جسم الامير بشير بالحصبه :

قالوا حبيبك محصوب فقلت لهم

لا لا فقولكمُ زور وبهتانُ

وانما جسمه قد زاق جوهره الـ

ـصافي فنقطه بالحسن مرجانُ

وقال يمدح قاسماً نجل الامير بشير :

كحلت بالسحر وبالدعج

اسماء اتهتك بالمهجِ

ورمت عن قوس حواجبها

نبلاً فاصابت كل شجي

غراء بغرتها تغني

بظلام الفرع عن السرُجِ

قسماً بمشارق طلعتها

وجميل محياها البهجِ

وبفرق لاح بذي جعد

كالصبح بليل مندرجِ

فيها وبشدة طرتها

وبلام الخد المزدوجِ

وبألعس ثغر ذي ظلَم

كالشهد براح ممتزجِ

وبلين قوام معتدل

قد جلّ بعطف عن عوج

لازال القلب يحن لها

وبغير هواها لم يهجِ

اشتاق الريح عساه اتى

من نشر رباها بالارجِ

ملكت رق المشتاق كما

ملك العلياء ابن ابي الفرجِ

القاسم رب الفضل ومن
فاضت كفاه كاللجج
اسد ان جال بموكبه
بات الاعداء على وهج
لله امير قد وردت
بنباهته اوفى الحجج
ليث من كان بطاعته
لم يخش الدهر من الحرج

وقال يمدح علي بك الاسعد حاكم عكار معارضاً قصيدة خاله ميخائيل البحري التي امتدح بها الامير قعدان الشهابي :

رفقاً بأسيرك يا اسما
فالجسم لقد اضحى رسما
ورضيع هواك بكى ولها
وبعادك اورثه السقما
هيفاء اذا ظهرت ليلاً
تجلو بمحياها الظلما

تسبي الالباب اذا خطرت

واذا نطقت تسبي الهما

وبلؤلؤ ثغر منتظم

عقـد المرجان له نظما

ومدامة ريق قد عصرت

من مسك في ثغر ألمى

وهلال الصدر وليل الشعـ

ـر ولين الخصر اذا انضما

ماهمت بغير هـواك ولا

شاقتني مي او سلمى

كفي الهجران فكم تبديـ

ـن بصدك يا اسما ظلما

فدموع الصب لقد هطلت

كعطاء علي من اما

لو حاتم ابصر بعضاً من

جـدواه لاطرق ذا غما

كم افنى جمعاً باتره
بالنقع وكم بطل ادمى

وقال يمدح سماحة الشيخ عبدالساتر الاتاسي مفتي حمص مرتجلا :

حيا الحيا حمص البهية انها
ذات المعالم والجمال الباهر
فاقت بكل مهذب ومثقف
وتفاخرت عزاً بعبدالساتر

وقال يمدح الشاعر الحمصي الشيخ امين الجندي مرتجلا :

لله خير مهذب باهت به
حمص ونور الفضل عنه يبينُ
لا غرو ان فاق الجميع فانه
شهم على درر البديع امينُ

وقال بلسان ماسورة الدخان حين وهبه الامير بشير بن كهرباء وكان الشاعر قد انصرف عن النارجيلة الى السيكارة :

وربّ خرساء اضحت بعد لكنتها

فصحاء ذات فم للضد رداد

قامت عجبنتها الزاهي ترد على

رجيلة فجرت في قولها البادي

تنددين بأني غير ناطقة

ألم تري منطقي يروي ظما الصادي

ألم تري ماجداً نعم الامير ومن

احيا وجود الندى في كفه النادي

فهو الذي قد غدا لي منجداً وبه

ثغري يغرد في مدح وانشاد

قال مهنئاً امين خـــزينة الوزير سليمان باشا والي الشام وصيدا وطرابلس بحلول يوم السبت :

قد اقبل السبت (١) بأنواره

يهدي النقى بالامن والسّبت (٢)

---

(١) اليوم المشهور (٢) عدم الحركة .

وجاء بالسير على سبته (١)

اخو الشجا فعاد بالسبتِ (٢)

وجد بالغبراء في سبتها (٣)

ليذهب الاتراح كالسبتِ (٤)

لدى همام خير سبت (٥) الى

نيل الثنا يصبو بلا سبتِ (٦)

قال يمدح الامير حيدر احمد الشهابي :

عج بالديار وحي ذاك المعهدا

وانعم بربع بالثناء توطدا

وانشر بذياك الحمى عهدي الذي

يابن المودة فيه لن يتبددا

حيا ربوع الحي صوب سحابة

مع كل سارية بمنهل الندى

---

(١) شدة اليأس (٢) الراحة (٣) قطعها (٤) حلاقة الشعر

(٥) الرجل العامل (٦) نوم .

ونعمت عيشاً ياديار احبتي

أني بغير هواك لم اك منشدا

ماغرد القمري فوق اريكة

الا صبا قلبي المشوق ورددا

رعياً لايام تقضت باللقا

كان الزمان بها هنيئاً مُسعدا

ايام كنا والصفاء يظلنا

وهزار انس بالمسرة قد شدا

ولنا بهاتيك الطلول معالم

كاد الفؤاد ربوعها ان يعبدا

ولرب احور مقلة فتكت بنا

ألحاظه النجل الصحاح تعمدا

نشوان من خمر الصبابة والصبا

يصمي ويسبي ان رنا واذا بدا

مازال يرشف من سلافة تيهه

حتى ترنح بالدلال وعربد

واهتز من تحت الغلائل قده

ليناً حكى الغصن الرطيب الاملدا

يفتر عن برد وعن حبب وعن

در نظيم بالعقيق تنضدا

وأتى وقد فتن الظباء بجيده

يختال مابين الغلائل اغيدا

سر الشجي بياتر من فاتر

ورمى الفؤاد بهجره فتوقدا

مالاح بارق ثغره الاهمى

طرفي واومض بالفؤاد وأرعدا

كلا ولا خطر النسيم معطراً

الا حكى اوصاف حيدر احمدا

زين المحامد والمفاخر سيد

قد جاء في حسن المآثر مفردا

شهم انور شهاب نسبة مجده

ملك العلى رغماً وحاز السؤددا

واذا ذكرت الاكرمين فانه

لاعزهم عزماً وأسمحهم يدا

ليث اذا الهيجاء عب عبابها

غوث اذا ماحل خطب واعتدى

مولى له الادب الرفيع سجية

منذ الفطام وزاد فيه توددا

ومهذب ابداً تراه مثقفاً

يوماً لغير ربى العلى لن يعمدا

ضاءت ربوع العز فيه وقد سما

منه الحجى رشداً ففاق الفرقدا

ياايها المولى الرفيع مكانةً

لازلت شهماً كل راج منجدا

خذها لقد وافت من ابن كرامة

واسانها في نظم مدحك غردا

واسلم ودم ياماجداً نال المنى

اوصافه الغراء لن تتعددا

قال يمدح الشيخ بشير جنبلاط :

من الاحبة ام من طيب ربعهم

وافيت يا عاطر الارواح بالنسمِ

ام من ثنيات ذياك الكثيب اتت

نوافح الطيب ام من نشر طيبهمِ

سقى الحمى مدمعي يوماً يذكرني

به النسيم بريا نفحة الخزمِ

فلي عهود به قد بت ارقبها

عسى النسائم تأتيني بنشرهمِ

وفي المنازل عرب ماذكرتهم

الا رجعت من الاشجان ذا ألمِ

لهن في كبدي طعنات ذي حور

وكم فتنت بهم ايام قربهمِ

من كل أهيف ممشوق القوام له

فتك بألحاظه اللاتي سفكن دمي

ياصاح ان جئت فياح الحمى سحراً

فانشر من الشوق منثوراً بمنتظمِ

وحي اطلال نعمى نعم ما ضمنت

من كل العس المى الثغر مبتسمِ

وعم الحي من تلك الطلول وقف

واقرأ تحية صب غير متهمِ

وسل بتلك الربى عن قلب عاشقها

هل نام في ربعها ام هام بالاكمِ

كيف السبيل وقد شط المزار بنا

ام كيف اسلو ولي قلب بحبهمِ

بذمة الله من غابت ديارهم

عنا وفي كبدي نار لبعدهمِ

لله صب غريب نازح قلق

مقرح الجفن يجري الدمع كالعنمِ

مد الزمان له كف الخطوب وقد

وافاه في كيده يسعى على القدمِ

وجار دهري وما راعى لنا حكماً
يا طول ظلمي من خصمي ومن حكمي
ان لم يكن للفتى حظ يقوم به
فليس ينفعه مستحسن الكلم
ولا العلوم ولا الآداب نافعة
سوى الحظوظ فكلٌ جاء كالعدم
لله من كبد حرى تذوب اسى
من شدة الوجد لاتنفك في الم
لعل من بت ارعى طيب عهدهم
افوز يوماً ايا دهري بظلمهم
لعل ايامنا اللاتي سلفن لنا
تعود يوماً ولو في طارق الحلم
ورب يوم غدا قلبي يخاطبني
دع التغزل بالاشباح والرمم
وانظر لمختارة بالحسن قد خطرت
كأنها للعلى مغنى من القدم

انا القتيل بها حباً وان هجرت

فما سلوت وما عهدي بمعتصمِ

سحارة اللفظ بالالباب فاتكة

فتك ابن قاسم الهيجاء في ضرمِ

بشيرنا الجنبلاطي الذي شهدت

له المحامد في عرب وفي عجمِ

هو الذي اشرقت آراؤه وغدت

تغني عن المرهفين السيف والقلمِ

مهذب فاضل تحكي مآثره

زهر النجوم همام عاطر الشيمِ

كأن في كفه اذ جاد وابله

فيضاً من الاجودين البحر والديمِ

غضنفر اروع ان سل صارمه

في مهمه فالعدى لحم على وضمِ

كريم اصل تسامى كالنجوم ندى

لما يواليه من جود ومن نعمِ

قال يمدح شديد بك الاسعد :

ياظبية البان بين الرند والخزمِ
ترعى الحشاشة اني بت ذا سقمِ

فاغمدي سيف جفن قد سفكت به
دمي بلا حرج من قال حل دمي

الا اتقي الله في صب اخي وصب
لم يشفه غير لثم القرط والخزمِ

واستعملي الرفق في تعذيب ذي شجن
بغير طلعتك الزهراء لم يهمِ

من لي بذات دلال ان شغفت فلم
تشغف وان رمت قربا فهي لم ترمِ

غراء يخجل بدرا التم ان سفرت
عن خير مبتسم بالدر منتظمِ

هتكت في حبها سري وهان دمي
وعيل صبري على ما فات يا ندمي

حورية فعلت اجفان مقلتها

في مهجتي فعل ماضي الحد بالقلمِ

وعنبر الخال في وردي وجنتها

بعقرب الصدغ يحمي لثم كل فمِ

ماالبدر ان برزت ماالصبح ان سفرت

كالشمس مذ لحت في حندس الظلمِ

جاءت تجرعني صداً فقلت لها

جودي بما شئت اني غير متهمِ

كلا ولا شيء يحلو بعد حسنك لي

الا امتداحي الشديد الظاهر الشيمِ

اعني ابن اسعد من حاز العلى وسما

في فيض كف يحاكي وابل الديمِ

شهم مجيد اذا ماهز صارمه

اوصال في حربه انساك كل كمي

حلو الفكاهة يوم السلم ذو كرم

ويوم كظم شديد البأس ذو شممِ

هـذا ابن اسعد في العلياء رتبته

كأنه علم في ظاهر العلمِ

بكل ارض نرى فيضاً لراحته

كأنها قرنت بالهاطل العرمِ

كأنه احنف في الحلم حين يرى

وفي ذكاء اياس معدن الحكمِ

وقال عند حضوره الى القاهرة متغزلا ومادحا جرمانوس ويوحنا البحري :

تجلت لعيني في محاسنها مصرُ

فراق لنا وجه المسرة والبشرُ

ونمت ازاهير الرياض بيكرة

فأحيا فؤادي من حدائقها نشرُ

تميل على الكثبان افنان دوحها

يرنحها من فرط نشأتها سكرُ

ومرجان ماء النيل يرفضّ جوهرا

تحلت به افيا زمردها الخضرُ

بروضتها الغناء اصبح قائلا
عيون المها اين الرصافة والجسرُ

بها ماتمنته النفوس لانها
غدت جنة يجري بها الكوثر الوفرُ

منازلها عـز وامن رحابها
وامواهها شهد وساحاتها تبرُ

جلت بها والدهـر يرمي سهامـه
فكفت بكفيها الذي رشق الدهرُ

ومدت لنا بسط المسرات والصفا
لليلاتها الغر او ايامهـا الزهرُ

وأملت علينا من محاسن اهلهـا
صحائف لازالت يطالعهـا الفكرُ

فطابت اويقات السرور بظلها
وساعات افراح لعمري هي العمرُ

ندامای من لبنان دار احبتي
سقاه الحيـا غيثاً وباكره القطرُ

ولا برحت تلك الظباء بروضه

يكحل جفنيها من الحور السحرُ

وتهتز هاتيك القدود مقله

بدور جمال بات يحسدها البدر

ممنعة بين القواضب والقنا

تضرم في احشاء عاشقها الجمرُ

الا بلغوا ذات الجمال بانني

اسير هواها لا يفارقني الاسرُ

ولي كبد تصبو اليها وان نأت

ولم تحتمل صبراً وان حمد الصبرُ

ابيت اذا جن الظلام معللاً

فؤادي بذكراها وهل ينفع الذكرُ

ترى علمت ماذا لقيت من الهوى

وهل عندها علم بما فعل الهجرُ

دهتني النوى لكن حطمت يد النوى

بقرب بحور في اماثلهم بحرُ

بنو البحر الا انهم درر العلى

واهل الوفا لكن دأبهم البرُ

وما منهم الا نبيه مهذب

تراه بديوان اليراع هو الصدرُ

بجرمانيوس ساد الحساب واصبحت

دفاتره الزهراء يعشقها الزهرُ

يريك اذا هزت يراعاً بنانه

عقود جمانات معادنها الحبرُ

وفاخر يوحنا بانشائه الصبا

فرقت لالفاظ بها عقد الدرُ

تود ذؤابات الحسان اذا انتضى

ليكتب سطراً انها ذلك السطرُ

هما فرقدا افق اليراعة والنهى

وابناء بيت مهده النظم والنثرُ

وبدران ضاءا فطنة وبلاغة

كما اشرقت حسناً صفاتهما الغرُ

فلولاهما ما راق انسي ولم تكن

تجلت امامي في محاسنها مصرُ

المراثي

قال يرثي الامير بشير الشهابي الكبير المتوفي في القسطنطينية سنة ١٨٥٠ :

ما للمعالي تفيض الدمع مدرارا
والمجد يندب آمالاً واوطارا

وعاطفات الاماني بتن في حزن
وواردات التهاني عدن اكدارا

وآمل البذل قد امسى بلا امل
وخائف الدهر من وقع النبا انهارا

هل البشير الشهابي قد قضى اجلاً
فاظلمت بعده العلياء اقمارا

نعم قد انقض ذاك البدر وارتشفت
ام المعالي مصاباً جلّ كبّارا

ويل لها كلمة ويل لقائلها

ياليتها كذب او كان مهذارا

اصمت قلوباً وأبكت كل ناظرة

وسعرت بلهيب الحزن افكارا

ياللمنية أنى قد غدرت بمن

وفاء صمصامه لم يُبق غدارا

وكيف انشبت اظفاراً بليث شرى

قد كان ينشب في الآساد اظفارا

يالوعتي كيف اضحى اللحد منزله

وكان لا يرتضي متن السهى دارا

وكيف ضم عباباً زاخراً كرماً

وكوكباً في سماء المجد سيارا

تبكي الصفات عليه والكماة اذا

همى السحاب وهز الشهم خطارا

تبكي الايامى على فياض رأفته

بكا اليتامى ندى كفيه اسحارا

والجد اصبح لما غاب كوكبه

يبكي بلبنان اطلالاً وآثارا

ابـكي الشهـاب الذي كانت اشعته

تضيء في فلك العلياء انوارا

وجهبذاً ماجداً طابت خلائقه

فالعرب والعجم تروي عنه اخبارا

كم سن العدل قانوناً يؤيده

وسل يمحو ظـلام الظلم بتـارا

لم لا افيض الدما من مقلتيَّ كما

فاضت اياديـه بين النـاس تيـارا

وكيف لااملأ الاقطار من حزني

على الذي ملأت نعماه اقطارا

كيف اصطباري وسلواني مآثره

كالجور في عصره قد بات فرارا

وكيف انسى وهذي الزُهر ساطعة

جاءت لأخلاقه الغراء تذكارا

لا اكتفي بالبكا حولاً كمعتذر

لكن سأبكيه احوالاً واعصارا

لازال دمعي بسقي الارض منسكباً

او بنبت الامغر الصوان ازهارا

يالهف نفسي اذا ماالنائبات عرت

ولا بشير يروع الخطب إنذارا

من كان في السلم للاصحاب بهجتهم

وللعداة غداة الحرب قهارا

من كان لا يرتضي الا التقى عملاً

ولم يَرُمْ غير نصر الحق ايثارا

من كان لا تطرق البأساء صاحبه

ولا تمس له ايدي الاسى جارا

من اخصب العدل في ايامه وزهت

رياضه فاجتناها الناس اثمارا

من كان كالليث كلا لا اشبهه

بالليث خشية ان ينحط مقدارا

ياصاحبيّ اسعداني وارثياه معي

واطلعا من مراثي النظم ابكارا

حال الجريض وقد جف القريض فلا

عتب اذا لم اطل في ذاك اشعارا

حبرتها بدموع مزجهن دم

والحزن اضرم في القلب الشجي نارا

يانفس مهلا فذا حكم الاله فلا

يبقي عبيداً ولا يجتاز احرارا

ولا يراعي اخا مجد وذا شرف

وليس تمنع دار منه ديارا

دارت على قيصر ايدي المنون كما

دارت بكسرى وقد اخنت على دارا

ان غاب عن هذه الدنيا فان له

ذكراً يدوم مع الايام معطارا

قضى على ثقة من ربه فغدا

مصاحباً في جنان الخلد ابرارا

ناداه رضوان من اعلى الجنان رضا

اقـدم بشير فقـد لاقيت غفـارا

ادخل بما كنت في دنياك تعمله

من المبرات إعلاناً واسرارا

عليك من ربك الرحمات ماصدحت

ملائك الخلد بالتسبيح تكرارا

وقال يرثي البطريرك اغناطيوس صروف الكاثوليكي الذي اغتاله الياس عماد واولاده في ٢ تشرين الثاني سنة ١٨١٢ :

غدر الزمان واظهر التفنيدا

واشتق منا اعيناً وكبودا

تباً لدهر في حوادث مكره

اخذ الرقاد وخلف التسهيدا

واراش من نبل الحمام اسنةً

فخرقن منا اعظماً وجلودا

قد كنت ارغب في الحياة وعيشها

لو ان في هذي الحياه خلودا

ياصاح ما هذا الزمان مصافياً

فدع التثبت واطلب التجريدا

واحذر من الايام ان طباعها

تنفي السرور وتجلب التنكيدا

ان المنون عيونهن رواصد

يلحظن عمراً للفنا مرصودا

ان المنية والسلامة للورى

امر تراه يقظة ورقودا

انى تود من الحتوف سلامة

هل في المياه ترى لظى موقودا

كيف استطعت ايا منية غدر من

قد كان للرأي القويم عميدا

يبكي الانام على غناطيوس الذي

صرف الضلال بوعظه منفردا

البطريرك ابو الفضائل والحجى

من كان في هذا الزمان فريدا

ابكيه ثم اقول عند افوله

لازال حزنك في الفؤاد جديدا

ان كان اورثنا البكاء فانه

وهب الملائكة السرور مزيدا

او ان يكن امسى قتيلا انه

في روضة الشهداء لاح سعيدا

غدر البغاة به فأصبح غدرهم

شراً على اعناقهم مردودا

مكروا بأنفسهم فأصبح مكرهم

لم يجدهم الا اسى ووعيدا

ان المسيح اراق طوعا رضائه

دمه البغاةُ ووسدوه العودا

والهامة المفضال بطرس قد قضى

من فوق عود ناكسا مشدودا

وكذا المعظم بولس المصداح قد

حز الحسام وريده والجيدا

والرسل والشهداء طراً هكذا

حازوا بسفك دمائهم التمجيدا

وكذا غناطيوس الشهيد قد اقتدى

بهم وبات بصفهم معدودا

بلغ الشهادة ارخوه مبرراً

بدماه اضحى للمسيح شهيدا

١٨١٢

وقال يرثي المرحوم عبدالله البحري :

للعين من الم الاحشاء عبراتُ

وللفؤاد من الاشجان اناتُ

ماهذه الدار دار للسرور ولا

دار تدوم بها الناس لذاتُ

كيف السلامة في دار خليقتها

الا يدوم بها جند وساداتُ

ترجو من الدهر صفواً وهو ذو كدر

امن اخي كدر ترجى المسراتُ

دع الزمان وكن منه على حذر

فللزمان على اهليه غاراتُ

ولا يغرك ان راقت مسرته

ثوب المسرة تبليه المنياتُ

القى الى كبدي سهماً فصدعني

وللزمان مسرات وحسراتُ

وان لله في هذي الدنى حكماً

للصفو وقتٌ وللاتراح اوقاتُ

ياللمنية قد حازت وقد غدرت

ببدر فضل له الآداب هالاتُ

مولى البراعة عبدالله من فقدت

لفقدة وانقضت تلك البراعاتُ

من كان بحري عرفان ومعرفة

وبر فعل سمت فيه الكمالاتُ

اذا ذكرنا معاليه وهاج بنا

حزن بكينا فهاجتنا اساءات

لما قضى وهو ياقوت الكتابة قد

اجرته دمعاً من الاجفان لوعات

يالهفتي قد اصيبت بابن مقلتها

ام اليراع وللانشاء لهفات

ياطالما سبكت اقلامه درراً

تقلدت بلآليها الرسالات

وكم على وجنة القرطاس من يده

تفاخرت ببديع الخط لامات

مالاعبت قلماً يوماً انامله

الا بدت مشرفيات صقيلات

لما اتى الناس ناعيه بكت اسفاً

من اليراعة دالات وميمات

قد كان خير جواد بل ونعم فتى

تقضى على يده للناس حاجات

يا كوكباً ظفرت ايدي الخسوف به

فغاب واحتجبت تلك الاضاءاتُ

وبارعاً حل في ترب وكان له

بين الورى رتب زهر عليَّاتُ

ابكي عليك مدى الايام يسعفني

نوع اليراع وتبكيك البلاغاتُ

لهفي عليك فان القلب بعدك في

مهد الملمات والاحزان بياتُ

ما كنت احسب ان الدهر يفجعني

بمن له في اكتساب الفضل همّاتُ

يانفس صبراً على هذا المصاب فلا

حزن يدوم ولا دامت مسراتُ

تشبثي بعرى التقوى محافظة

على الصلاح فكل الناس امواتُ

طوباهُ قد سار من دار الهموم الى

دار بها للصفا والانس لذاتُ

ممتعاً بنعيم لا زوال له

تحفه من رضا الرحمن رحماتُ

وان في اخويه خير تعزية

بل فيهما عوض فيه زياداتُ

البارعين النجيبين اللذين بدت

من نور فضلهما الزاهي اشاراتُ

ابقاهما الله في عـز ولا برحا

عليهما من اثيل المجد هالاتُ

التشطير والتخميس

كان شاعرنا مشغوفاً بالتشطير والتخميس وفي ديوانه سجع الحمامة كثير من التشطيرات والتخميسات وقد رأينا اختيار بعضها :

قال مشطراً :

يادر ثغر حبيبي
اشرقت حسناً وسيما

لقد هتكت اللآلي
كن بالعقيق رحيما

ولا تشق عليه
اذا انجليت بسيما

هبه الضياء بلطف
الم يجدك يتيما

وقال مشطراً :

بانوا فصار الجسم من بعدهم

ممتزلاً اثوابه عيّا

وذاب حتى صار من هجرهم

ما تصنع الشمس له فيّا

بأي وجه أتلقاهم

إن لم أمت في حبهم طيّا

أكون من دين الهوى خالياً

إذا رأوني بعدهم حيّا

وقال مخمساً :

لما بدا بدر الجمال بعجبه

يختال تيهاً بارزاً من حُجبه

ناديت لما أن دنا من صبه

من ذا الذي يختار فرقة حبهِ

ألا أنا فاخترت أن نتفرقا

ماكان قصدي بالبعاد لهجره
لا والدلال ورقة في خصره

لكن تمنى البعد ظاهر سره
حتى افوز بقبلة من ثغره

عند الوداع ومثلها عند اللقا

ألا ربما جاد الزمان وأنعما
فاجلو كؤوس الراح من قرقف اللمى

ادر ايها الساقي المدام المنجما
الا ربما زار الملاح وربما

لمست بكفي البنان المخضبا

وعانقت غصن البان جيداً ومعصما
وصافحت ثغراً باللآلي تنظما

ولم انس اذ وافى الحبيب وسلما

وقبلت رمان النهـود وربعـا

اعضمض تفاح الخدود المكتبا

بروحي بـدوراً بالحمـى قد عهدتها

وايام انس بالصفـا جاد وقتهـا

فبالله دعني والبكا ان ذكرتها

ايالائمي في عبرة قد سفحتهـا

لبين واخرى قبلها للتجنب

فتلك فروضي في الغرام وسنتي

واعظم اجـري ان الاقي منيتي

فكيف وهذا شأنوجدي وصبوتي

تحاول مـني شيمة غـير شيمتي

وتطلب مني مذهباً غير مذهبي

وقال مخمساً :

ياليلات تقضت باللقا

مع بدور اورثوني حرقا

يا نسيماً في حماهم طرقا

قل لأحباب كسوني الارقا

مات صبري فلكم طول البقا

يابدوراً هاج غمي هجركم

حين سرتم وتولى ظعنكم

لا تظنوني اسلو حبكم

ان رأت عيني مليحاً غيركم

لا ازال الله عنها الارقا

ليت شعري اصدود منكمُ

ما اراه ام دلال فيكمُ

وبقلي والحشا افـديكمُ
ونصدقت بروحي عنكم

هكذا كل محب صدقا

يا رُبيْعاً حين وصـل ضمنـا
قد سقاك الجفن جاري دمعنـا
صحت لما شمت روضاً لمنا
ياغراب البين قد نلت المنى

وتفرقنا وعز الملتقى

يا خليلاً كلمـا ذاكرته
لام بالوجـد الذي عانيتـهُ
لاتلمـني بالذي قاسيتهُ
لي حبيبٌ كلما شاهدتهُ

نثر الورد علينا الورقا

فهـو عمـداً بالجفا يتلفني

وبسيف اللحظ كم يقتلني

ذبت وجداً وهو لاينجدني

أتمنى قربه يبعدني

هكذا الدنيا نعيم وشقا

رشأ ماس بقد اهيف

وبجفن صال لا في مرهفِ

وينادي خاله عن كلف

ما سرقنا حسنه من يوسفِ

انما يوسف منه سرقا

وقال مخمساً :

كم فاز بالوصل من خود وكأس طلا

فدم وفاق هماماً رام نيل ُعلى

ناديت والوجد مابين الحشا اشتعلا

ليت الملاح وليت الراح لو جعلا

في جبهة الليث او في قبة الفلك

وليت كل مليح ساحر المقل

محجبٌ بين بيض الهند والاسل

وليتما الخمر حلت دارة الحمل

كي لا يقبل ذا حسن سوى بطلِ

ولا يطرق بكاسات سوى ملكِ

وقال مجدداً :

كفاني ان الشرق اضرم مهجتي

واذكى الجفا نيران وجدي ولوعتي

ايا سائلا عن فيض جفني وحيرتي

جرى دمع عيني من فراق حبيبتي

فصار نهاري بالسواد كليلتي

ظبيّة حسن لم يكن من سماحها

لصب سوى فتك الهوى وكفاحها

حكت ليلتي فرعاً نزيل وشاحها

فطالت الى ان لاح لي في صباحها

شبابي مرئياً بمرآة شيبتي

مهاة على العشاق صالت بأسمرا

واردت افانين الرياض بأخضرا

مورد خديها دعاني اصفرا

فلا تعجبوا ان سال دمعيَ احمرا

ولا تسألوا عن فيض انهار مقلتي

لقد اسرت كبدي وشد وثاقها

بحبل هواها لايرجى انطلاقها

فمن لي بمجموع اللحاظ نطاقها

هجرت الكرى لما دهاني فراقها

وزاد على هجر تطاول غربتي

لقد رق لي اهل الوفاء وعذلي

وحنّ لما ألقى رحالي ومنزلي

وقد صد عني الدهر كل مؤمل

تيقنت ان الصفو لي سوف ينجلي

لان همومي قد تدلت بشدة

المراجع

دواني القطوف — عيسى اسكندر معلوف

تاريخ الآداب العربية — جرجي زيدان

الآداب العربية في القرن التاسع عشر — الاب لويس شيخو

سجع الحمامه في ديوان بطرس كرامه

تاريخ الامير بشير الشهابي الكبير — الخوري بطرس صفير

فهرست

جدول الخطأ والصواب

صفحة	خطأ	صواب
٣	قال فيه	مدحه
٧	صبقه	سبقه
٧	حتى الاسرة	من الاسرة
٨	السكيتة	السكينة
١١	قريحيه	قريحته
١٦	الشيابي	الشهابي
١٦	فازداد	فازدادت
١٨	ظارة	نظارة
٢٠	سلامة	سلافة
٢٢	بطوس	بطرس
٢٨	اسل	اشل

صفحة	خطأ	صواب
٢٨	قد	مذ
٢٨	الفراشة	الفراسة
٢٩	رياه	رباه
٣٠	منها	فيها
٣٣	ثرابي	ترابي
٢٦	انت	آبت
٥١	وثنايا	اما وثنايا
٥٩	غلاه	علاه
٥٩	بالطرف	للطرف
٦١	الذي	والذي
٦٤	قلثي	قلبي
٧٢	دعاني	وعاني
٧٣	ثرى	ترى
٧٤	موغد	موعد
٧٥	ثم	نم

صفحة	خطأ	صواب
٧٧	معزضة	معرضة
٨٠	وانحصر	والخمر
٨٥	يهم	بهم
٨٧	فاصل	فاضل
٩٠	النعال	الفعال
١٠٢	اللالي	اللائي
١٠٤	الصفا	الصفاء
١٠٨	واه	اواه
١١٤	خلقة	خلقه
١٣١	الحزر	الحرز
١٣٦	الوُطُن	الوُطُس
١٣٩	بالخناجر	بالحناجر
١٤٠	طلق	خلق
١٤١	جميع	جميل
١٤٥	شافتني	شاقتني

صفحة	خطأ	صواب
١٥٥	بمتصم	بمنفصم
١٥٩	جلت بها	حلت بها
١٦٠	مقله	مقلّة
١٦٥	والجد	والمجد
١٦٦	بنيت	ينبت
١٦٩	منفردا	منغودا
١٧١	الناس	للناس
١٧٤	نوع	نوح

